قضايا فكرية

"يتضمّن مقالات كُتِبت في فترات زمنية تُعبّر عن قضايا ثقافية اجتماعيّة، للكاتب وجهة نظر فيها في تلك الفترة"

يناير 2018م

تأليف : طالب غلوم طالب

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : قضايا فكرية

المؤلف : طالب غلوم طالب

تصنيف الكتاب : مقالات

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٨٥٣٢ / ٢٠١٧

الترقيم الدولى : 8 - 584 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

قضايا فكرية

تأليف

طالب غلوم طالب

الإهـــداء

إلى أَخَواتي وإخواني الذين شاركوني حياة الطفولة إلى الآن، ووقفوا معي في محطات العمر، وإلى أفراد عائلتي "زوجتي وأبنائي وبناتي" الذين عاشوا معي مرحلة الكتابة والإبداع، نهدي هذا الكتاب المتواضع.

المـؤلف

طـالب غلـوم طالب

دبي - دولة الإمارات العربية المتحدة

المقـدمة

تتقافز المواضيع أمام الإنسان العادي ويُعبّر عنها نقداً أو قولاً أو كتابةً ليراها ويعرضها من منظوره الخاص، ودوماً يحاول الكاتب من خلال أيّ أداة التعبير عنها، ونحن هنا من خلال هذه المقالات التي كُتبت في سنوات متعددة وصولاً إلى نهاية 2016م، ونُشرت في عدد من الصحف والمجلّات حيث تتنامى الثقافة وتتجدّد الأفكار، نحاول إبداء رأينا في هذه القضايا والموضوعات التي تهم أي مجتمع إنساني، وحسبُنا أننا قلنا كلمة مُعيّنة أو فارقة حيالها ...

المـؤلف
طـالب غلوم طالب
دبي ، دولة الإمارات العربية المتحدة

الفهـرس

م	عنـوان المقـالـة :	الصفحة :
١	مع زايد الخير	٩
٢	المرأة والحق المشروع	١٣
٣	المخدرات والاستعمار الخفي	١٧
٤	الإنسان والمال	١٩
٥	الفتاة بين اليوم والأمس	٢١
٦	حقوق المرأة والجدل العقيم	٢٣
٧	حرب الأفيون	٢٧
٨	توأمة الفصحى والعاميّة	٢٩
٩	الأرقام المتسلسلة هل هي عنوان الحضارة؟	٣٥
١٠	الشرق الأقصى مثال يجب أن يُحتذى	٣٩
١١	العصر الحجري يولد من جديد	٤١
١٢	الطفولة بين الأمس واليوم	٤٣
١٣	الثقافات والأنثى	٤٥
١٤	أكلة لحوم البشر يعودون من جديد	٤٧
١٥	الحضارة: الإنسان أولاً	٤٩
١٦	شيء من السحر الخبيث	٥١
١٧	وقفة مع الغربيين ورفقهم بالحيوان	٥٥
١٨	حالة الإعلام اليوم	٥٩
١٩	عصر الاختلال الكبير	٦٣

٢٠	الزوجة الشرسة موضة عصريّة	٦٥
٢١	الحريّة المنحورة	٦٧
٢٢	الواقع وروح المأساة	٦٩
٢٣	وقفة مع السلوكيات الخاطئة	٧١
٢٤	صندوق الزواج والمكرمة الطيبة	٧٥
٢٥	عصر الاتصالات	٧٩
٢٦	السينما الغربية تشوّه العرب لحساب اليهود	٨١
٢٧	ثقافة الاستهلاك عمادها المال وضحيّتها البشر	٨٥
٢٨	وقفة مع اللهجة العامّية	٨٩
٢٩	الإعلام العصري .. سلاح الموضة	٩٣
٣٠	وقفة مع الصلف الغربي	٩٥
٣١	وقفة مع مفهوم التخلّف	٩٩
٣٢	الأيادي البيضاء في محنة كوسوفو	١٠٣
٣٣	الغُربة وعالم التغيير	١٠٥
٣٤	وقفة مع عقدة الخواجة	١٠٩
٣٥	صناعة الجهل	١١٣
٣٦	التسامح قيمة عليا في دولة الإمارات	١١٧
٣٧	وطننا في القلب	١٢١
٣٨	يوم الشهيد يوم الفخار	١٢٥
٣٩	ترجّل الفارس «خميس مطر المزينة»	١٢٩

مع زايد الخير(*)

عندما يتفحص الإنسان متفكراً ومخمناً في أرجاء الدنيا، يرى عجباً بل أعاصير شتى، عراك فوضوي ودمار يومي يهزّان العالم الإنساني، موت هنا، وحروب دموية وطوائف تتقاتل وقوافل البارود تتناحر هناك، وأسلحة الشر تُستنزف، وأرواح غضة تُباد وتُقبر، والأيادي الخضراء تقطّع علي الضفاف البعيدة، هكذا تسير المسيرة البشرية مترنحة وفي معيّتها، تتلاقح قوى التخريب، وتتناسخ على كل بقعةٍ من بقاع الدنيا الحزينة، حال عجيب، بنو العمومة يتقاتلون، وبنو الخؤولة يتشاتمون، نعرات واتهامات هنا، وصيحات وصرخات هناك، والعقل غائب مفقود بينها وبين تلك المحيرات والارتكاسات الموحشة، والحكمة بسببها مصلوبة على عمود قاتل ، لا يدبُّ فيه غيض حياة أو لحظة حركة.

وهنا على أرض غالية من فردوس الجزيرة وجمانة ساحلها، تنبع حكمة الرجال ودرة المواقف، يقف الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ليبين حجم الأمل الذي يمتلك ناصيته باقتدار، وتمكن من خلاله أن يحقق إجلالاً لنفسه، واقتداراً للركب الاتحادي، وفخاراً لشعبه الوفي والمُنعّم تحت ظله الأبوي، فالمال لا يَخلق أصالة الرجال، ولكنّ الحكمة تفيض بالعطاء الإنساني، فإعمار الإنسان هو أندى حصادات الحكمة والفضيلة الخيِّرة، فعندما جاء زايد الخير، جاء صقراً حراً أصيلاً، لا يرتضي غير المعالي، جاء مُشبعاً بتواضع الصحراء وفُسحة

الآمال والطموحات والآفاق الكبار، جاء يبتكر سلوكاً إنسانياً مُحيرّاً، أو بالأحرى يُخضّر سلوكاً إنسانياً مهجوراً ألا وهو التواضع الذي هجره الناس.

جاء إليه زايد الخير لينمّي فيه عروق النماء والحياة من جديد، تواضع شفيف جديد، يجعل المرء أمامه واقفاً بإجلال واحترام واعتزار يستفيد العبر من صاحبه المحنّك، هذا التواضع الذي قلما نراه مجسداً بين الناس، يأكل معهم ويشرب معهم ، يشاركهم الأتراح قبل الأفراح، فهذا هو الزعيم الحقيقي ذو الطراز الفريد، ورحم الله الشاعر إذ يقول:

من يتواضع يعْلُ بين الناس ما في اتضاع سيد من بأس

فلسفة سلوكيّة خالدة لهذا الإنسان العظيم، فالمحامد والخصال والحكم الفاضلة تبنّتها الأفعال المجيدة دونما الحاجة إلى كلمة واحدة تعبّر عنها أو عن مراميها، وساعتئذٍ نرى جموعاً وأُمماً كثيرة تهتدي إليها بكل جوارحها، وتحمد وتصدق فعل الرجال الحق وتفديه بالغالي، لذا نرى للكلام وقعاً حركياً حياً وفعلاً سحرياً، فشيخنا الماجد يفدى بالروح في زمن قحط قل فيه الفداء والتضحية، ويحب في عصر لا يعرف فيه معنى الحب، هالة فلسفية تنير أفعال هذا الرجل، فعندما دعى الشباب المواطن للتطوع والذود عن الحمى، مجرد دعوة عادية، إنهمر لأجلها المواطنون الأوفياء شيباً وشباناً وحتى الأطفال، هؤلاء تركوا الرخاء والرياش لتلفحهم الحرارة، وهم ليسوا مجبرين على ذلك، ولكنهم لأجل زعيمهم المفدى وقائد ركبهم المظفر

وعميد مسيرتهم التاريخية يهونوّن الصعب ويستسهلون الموت فداءً له وتلبية لأمره، كان ويظل نبراساً لهذا الشعب، ويده الخضراء ومواقفه النبيلة تغطي كل أرجاء الأرض حول الصحراء القاحلة بيديه الحانيتين إلى فراديسٍ جنان فيحاء تقصدها الركبان، وطلاب الجمال من أقاصي المعمورة، فلسفة حميدة وحكمة أزلية تمدُّه بحب العطاء الإنساني الغريزي، هكذا جاء زايد عظيماً كعظمة الصحراء، يفرش فيها الخير والخضرة الدائمة في كل جنباتها، فكانت هاهنا النخلة العنوان، هوية العربي في صحرائه الوديعة ومطعمه، أتاها زايد مُكرماً لها ومهتماً بها، مُشيداً على سعوفها صحائف اليوم الآتي، وبانياً تحت عراجينها وعذوقها حاضرة دولة جديدة تستمد العبر من الصحراء الأم ومُرسخاً مجداً أصيلاً تحت ظلال كل سعفة، مدرسة صحراوية عميدتها النخلة، بنت الأصالة والتاريخ، التي تعطيك العطاء الحي وهي محاصرة برمال حارقة تلسعها من كل صوب، وهذه هي أعجوبة الصحراء وعظة من عظاتها وعطاء متجدد، يتجلى في زعيمنا الفريد الذي لفحته شمس الصحراء وضراوتها بسمرتها الأصيلة، والتي نمت في خصال الاصطبار والمثابرة و الصبر الحكيم، فجاء إلينا صقراً كبيراً عاف التسرع والعجلة، متمتعاً بخصال فريدة لا تُحصى وكرائم لا تُعد، فهذا هو زايد ابن الجزيرة البار، يبهر العالم المتحضر بآرائه ومواقفه البنّاءة، ويجعل الإعلام العالمي يلاحقه بتحليلاته المسهبة في شخصية هذا الرجل البسيط، ففلسفته التواضعية حيرت القاصي قبل الداني القريب، وجعلت العالم بكل أصقاعه يقف مُجلِاً مُقدّراً

لعظمة شيخ عاف البهرجة الخطابية الفاقعة، وابتعد عن دهاليز الإطراء والمديح، بل شرع يغدق على شعبه الوفي كل سحائب الحكمة والخير، فكان بحق رجلاً من رجالات التاريخ الحي ومشاهير الأساطين الكبار الذين لا يستطيع التاريخ العالمي نسيانه أو تناسي انجازاته ولو للحظة واحدة.

*جريدة البيان ، ١١-٨-١٩٩٧

المرأة والحق المشروع(*)

إنّ زمن المطالبات جاء حالياً بثوب جديد، الكل يطالب، فالأفارقة يطالبون بالمساواة كأُناسٍ لهم حقوق، وآخرون كذلك في أصقاع المعمورة يطالبون بأشياء تردفها أشياء، فقضية المطالبات كبيرة تَتَسع لجميع المترافعين والمحامين، ولكن أشد المطالبات صيتاً، هي المطالبة بحقوق المرأة المنهوبة، فالأنثى بنت القرن العشرين والواحد والعشرين خلعت عباءة المسكنة والتواري خلف الستور، ودخلت معترك الانتفاضة الكاملة ضد القيود المفروضة عليها من قبل الرجل الشرقي أو التقليدي، فهي الآن لا ترضى الظل ولا دائرة الخمول، لأنها النصف لذا فهي تريد النصف من الحقوق خاصة حقوق الرجل، بيته، عمله، مجتمعه، وعليه شرعت، وتلازمه ملازمة وتقف معه نداً لند، وتجاريه مجاراة لا تهدأ أبداً حتى تدمر الأصفاد البالية صفداًصفداً، فالأنثى اليوم جاءت بنعرة جديدة، نعرة آخر موضة تذكرنا بنعرة قاسم أمين وآرائه التحررية الهادفة إلى تحرير المرأة كما يقول، فصيحات التمرد حالياً تطلق بكثرة لأنها الفتاة والزوجة، تريد تحقيق ذاتها المسلوبة بأيّة طريقة، فهي تريد العمل، تريد أن تصبح معلمة وطبيبة ومهندسة، تريد الوظيفة الكبيرة، تريد أن تبدع، والرجل الأخ والزوج محتار لا يدري أي حقوق ترتضي، فالوظيفة في اعتقادها تحقيق للذات المهدورة، فهي الموظفة حالياً لها حقوق كاملة بحكم التشريعات والقوانين الحكومية فهي الآن

موظفة ورئيسها في العمل رجل، تبتسم في وجهه مُجاملة، وأمّا زوجها المسكين فهي مُنهكة، تَعِبة ومشغولة بكتابة التقارير، فوقتها الثمين محدود وليس له، والوقت عندها ذو أهمية، والضرورة تقتضي الاهتمام به أكثر حتى تُحرر ذاتها من هيمنة الرجل حتى لو أدى تحقيق ذلك هَجْر الزوج والبيت والأبناء، نعم تصل العملية إلي مرحلة الهجر الكلي، لأن الزوج مشغول في عمله، وهي مشغولة أيضاً والأبناء «الضحايا» في ظلمات حِجْر الخادمة، فهي المعلمة و الأم التي يعْرفُها الأبناء، وهي الأم الثانية والمربية الثانية، فبعد التغذية الصناعية من حليب الأطفال وبعض الأطعمة تُعوّد الأبناء على كل ماهو صناعي، فظهر أبناء حليب النيدو وكليم وأبناء لا يعرفون في بيوتهم إلا أشباه أمهات، وأما الخادمات فهن المُرضعات، فالأنثى العشرينية ركضت وراء صيحات التغرير بها دون إمعان أو تفكير أو رؤية، بحجة إرجاع الذات المسلوبة، فنحن نفهم خروج المرأة إلى العمل لحاجة قصوى أو فقر ، أما الاكتفاء المادي والحالة المستقرة، فهذا لا يتطلب خروجهاإلاّ للضرورة القصوى، فتربية أبنائها والعناية بزوجها أشرف وأكبر وأهم، فَبِناء الإنسان وتربيته التربية السليمة أندى لها وأكرم، أما التخبُط في ردهة المكاتب ومخالطة الرجال، والجلوس على الكراسي لساعات طويلة بحجة تحقيق الذات فهذا هُراء مُزدوج فالمرأة الخارجة من بيتها إلى مقر العمل، والغارقة في شتى الألوان من مَساحيق كثيرة تصبغ بها وجهها، ليس حرية، أو بالأحرى تحريراً من قيود الرجل كما تقول أو تدّعي، فالإبداع للمرأة، والعظمة لها نَعم، والرفعة لها نَعم، ولكن بحدود المنطق والعَقل،

أما اجترار القول وترديد الكلام المغلوط، فهذا ليس إبداعاً ولا تحرراً ولا تحريراً، بل يدخل ضمن دائرة اللغط، فهي عندما تهجر زوجها وتَهجر أبناءها، وتنغمس في روتين العمل، فإنها تنسى أشياء وأشياء، وأهمها الزوج، فلا تُعيره الأهمية السابقة، فهي تملك المال، وتتصرف حسب أهوائها ومزاجها وأطفالها في دور الحضانة، وفي أحضان الخدم يتعلمون هجائية الجفاف النفسي، فأية تحررية هذه؟ وأية نعرة غريبة هذه؟ والله إننا دخلنا زمن المرار، الجميع فيه يترافع عن قضايا متعددة، حرية المرأة، وحقوق الإنسان وغيرها، نعم لحرية المرأة، ولكن بحدود، ندعها تعمل إذا كانت بحاجة للعمل، وكان المجتمع بحاجة إلى تخصصها النادر، أما أن تكون موظفة جامدة تقليدية ، وتنافس الرجل حتى في الوظائف المسخرة له أصلا، فأي تحقيق للذات تريده هنا، ومن أجلها تضيع الساعات الطوال من عمرها في عمل ممل لا يحقق أي شيء إلا راتباً تقبضه أول الشهر، لتتسوق في الأسواق والمحلات، وتداوم على الصالونات، أُنثى القرن الحالية تركت الأساسيات، وهي تريد التحرر حتى على حساب نفسها وأسرتها وأولادها، والله يعين.

* جريدة البيان، ٩-٤-١٩٩٨

المخدرات والاستعمار الخفي(*)

تُحاول بعض المنظمات والعصابات اليوم إغراق أسواق الإدمان بكافة أنواع المخدرات والمواد المخدرة، لكي تحقق الكسب الوفير، وحتى ولو كانت هذه الأسواق محدودة وبسيطة وصغيرة لا تستوعب، أو بالأحرى قليلة عددياً، إلا أنها عُرضة لها وخاصة المجتمعات النامية الغنية، فهي مُستهدفة وخاصة شبابها الواعد وعناصر التنمية فيها، إذاً دولة كدولتنا مُستهدفة من قبل هذه المُنظمات لما تتمتع به الدولة من موقع إستراتيجي متميز وسيط، وطول السواحل، وكثرة الموانئ، ووفرة المال، وكثرة العمالة الوافدة، لهذا كله، فالشباب أضحى اليوم مستهدفاً والاقتصاد الوطني أضحى مستهدفاً، الأمر الذي يعطي معضلة المخدرات زخماً كبيراً وخطورة بالغة، إذاً، الوضع الحالي يُنبّئ أن الظاهرة، ليست ظاهرة مؤقتة ولكنّها بدأت تتفاقم وتكشف عن أنيابها السامة، منذرة بخطر متبرص آت، لذلك فإن دولتنا كدولة بترولية غنية، وتتمتع بكل مقومات وأُسس الدولة الناهضة الحديثة، غدتْ في خطر دفين، والسبب: المخدرات «الطاعون القاتل»، التي أضحت خطراً عصرياً مستحدَثاً فتاكاً، وأضحتْ تجر علينا جرائم مرتبطة بها كالقتل والسلب والتدليس والسرقة وجرائم متعددة كنا لا نفقهها أو نعرفها سابقاً، أصبحت اليوم شاخصة بكل عنفوان وجلاء أمامنا، الأمر الذي يجعل البلاء مسلطاً علينا من قبل هذه العصابات التي تريد زعزعة الأمن، وخلخلة الاستقرار، والاستفادة من خيرات

البلاد احتيالاً وتلاعباً وتدليساً، فهي _أي المخدرات_ آفة سرطانية تعاني منها الأمم والشعوب والدُول والمجتمعات الإنسانية، وتحول عنفوانها الحضاري دمارًا وهشيماً وخراباً وشيخوخةً، ولا يَسْلم من علتها الماحقة أي إنسان أو مجتمع أو دولة.

إذن أصبحت المخدرات اليوم لغة عالمية تُخاطب كافة الشعوب والمجتمعات بلغة الاستعمار الجديدة ويكفي تجربة الشعب الصيني المريرة في حرب الأفيون الغادرة، لتُبّين قسوة المخدرات وضراوتها، ومدى الدمار النفسي والجسدي والعقلي الرهيب الذي لحق بهذا الشعب الذي سُلط عليه سيوف حرب استعمارية شعواء، حارقة، مخترعة وحديثة، جعلته يخسر النفْس والنفيس، والسبب هي المخدرات اللعينة التي تتحدث بكل جرأة بلغة الاستعمار الجديد، وهذا بيت القصيد.

*جريدة الاتحاد- ١٤-٩-١٩٩٧

الإنســان والمــال(*)

يقول المثل العربي «عش رجباً .. ترى عجبا»، نعم، زمن الأعاجيب هَلَّ وجاء بأنباء ووقائع غريبة لا تُصدق، فالمال غير المال، والذهب الأصفر غير الذهب، والدم الأحمر تحول إلى سراب ناصع، والعلاقات بين البشر، تبدلت إلى مسخ كلي، فالإبن يَحْترم ويُجل أباه من أجل ماله والإغداق الوفير الذي ينتظره منه.

اللسان المعسول والفعل المموه الخادع قد يفيدان في هذا الزمن المتقلب والمصلحة الجامحة علمت الناس كيف يُشكلون مئات الوجوه في ثوان معدودة، فلا حياء ولا كبرياء تنفع في مواقف المصلحة إلا التفكير في اقتناص فرصة ما تدر مالاً وفيراً.

الناس في زمن المستحيلات يبيعون المبادئ بدرهم وبدرهمين وبثلاثة دراهم والمُثل العُليا لم يعد لها وجود، ضاعت وتبعثرت، قد تشتري صديقاً بفعلة حميدة ولكنك قد تخسر عمراً إذا أكرمت لئيماً مريداً، فالحياة المادية الجارفة أذهبت بالكثير من المحامد النيرة، فالأب لا يرى إبنه حقيقةً إلاّ في المناسبات الخاصة، والأم لا تعرف حقيقة ابنتها إلا في المناسبات الخاصة أيضا وعلى ألسُن وكالات الأنباء البشرية، والعلاقات بين الأفراد تحددها بروتوكلات المادة الصارمة، أُصاحبك من أجل درهم وارد، وأهجُرك من أجل درهم صادر، فزمن الأضداد راح إلى جحيم الانقضاء البائد والمال في المواقف الحالية هو المسيطر لا يضاهيه جامد أو حي، والعملات الثمينة هي سيّدة

المواقف والمجالس، والشيكات ذات الأرصدة الخرافية، وهي صاحبة الكلمة، منطق المال دوماً لا مُناقض له، نظرية صحيحة لا اعتراض عليها، والمفلسون دوماً يحاولون إيراد نقيضها، ولكن، لا تستطيعون لأن الناس تعودوا على مُجاراة لهيب المال الجذاب وغيره لا يشتهون، الكل يحب المال.

*جريدة الاتحاد - ٢٨-١٠-١٩٩٦

الفتاة بين اليوم والأمس(*)

إنّ من يحيا زمناً أكثر تقدماً وتحضراً، يرى البون الكبير بين زمنه والذي قبله، دون التمعن والتفكر في سلبيات وإيجابيات الزمنين، فالفتاة في الأزمنة الماضية كانت رهينة المنزل والعُرف والتقليد، وكانت تعمل جاهدة على مساعدة أمها، وليس لديها أي وقت للموضة والثرثرة، تبقى على هذا الحال حتى يأتيها الزوج الصالح لتنتقل من بيت أبيها إلى بيت زوجها، حيث تبدأ مرحلة إعداد المستقبل الكبير والمسؤولية الكبرى، فالزوج مسؤول عنها والأبناء كذلك، والتربية التي تعلمتها في بيت أبيها سوف تنعكس ايجاباً أو سلباً على حياتها الأسرية الحالية مع زوجها الذي توسّم فيها الزوجة الصالحة التي تعينه في السراء والضراء، إذاً، الفتاة السابقة كانت تحيا حياة الروتين دونما تجديد، فلا رأي لها، ولا سؤال ولا جواب، ولا اختيار، إلا فيما ندر، وعلى الرغم من أمية الأب والأم والفقر والزواج التقليدي، إلا أن الناس لم يعرفوا شيئاً يُسمّى كثرة العوانس وكثرة المطلقات وأزمة الزواج، فالحالة الاجتماعية البسيطة علمت الناس، كيف تعيش القناعة الحقيقية دون إسراف أو مبالغة، فالأب يزوج ابنته وهي صغيرة حمايةً لها، ويزوج ابنه مبكراً حماية له حتى يتحمل المسؤولية ولا يتهرب منها، فهكذا كان الاعتقاد والتفكير، حيث حاول الآباء إقامة مجتمع معافى من الفجوات و الثغرات حتى ينشأ سليم البنيان، قوي العماد، والفتاة هنا موضوعنا الرئيس لم تكن

سلعة تنتقل، بل كانت مكرمة من قِبَل الجميع، والجميع حاولوا حمايتها بشتى الطرق والسبل والوسائل الممكنة، ولو سألنا الأمهات الحاليات «فوق الخمسين» عن حياتهن فيما مضى، لقُلنَ أن الحياة الماضية بفقرها وتعبها كانت أفضل، فالفتاة كانت الكل في الكل - وخاصة حين تتزوج – فهي الأم والمربية والطاهية، فالحياة آنذاك كانت خالية من الهموم الحالية، وأبناؤها يعتلون المناصب والمِهن والوظائف التي تُساهم في رفعة الدولة وتقدمها، أما الفتاة الحالية فهي دوماً متأففة من واقعها المُعاش، تريد التعليم وإبداء الرأي والمناقشة والمساواة مع الرجل وبالنسبة للزواج فيمكن للفتاة أن ترفض دون إبداء الأسباب، فهي حرة لا تلتفت لأحد.

وعلى الرغم من هذه التجربة يشهد المجتمع الحالي ازدياداً في حالات العزوبية وخاصة تلك المتعلقة بحالات الرفض وزيادة المطلقات نظراً لتخوفهن من شبح العنوسة لذا يقبلن بأول قادم لهم، والسبب، أن الوعي نضب ولم تعد له قيمة والحياة الاجتماعية الاستهلاكية والحرية المغلوطة جعلت الزواج – البسيط سابقاً- من أصعب القضايا والأمور.

---

* مجلة الرياضة والشباب - ١٠-١٢-١٩٩٦

حقوق المرأة والجدل العقيم(*)

إن قمة التزمّت أنْ ننظر إلى الأشياء من منظورشخصي عاطفي فقط، وعلى أساس هذه النظرة القاصرة نستنتج ونحكُم ونحلل، ونعبر بإطناب ممل عن قضية ما أو فكرة ما. فللأسف، يحاول المتزمّتون دوماً إثارة قضايا هامشية لا تُجدي نفعاً، اللهم إلاّ بعض المنافع الشخصية التي لا تتعدى شخصاً أو شخصين على أبعد تقدير، إذاً، العملية أو بالأحرى القضية التزمّتية لا تُجدي نفعاً إلاّ إثارة بعض اللغط المؤقت كحقوق المرأة، فهذه الصداحات القديمة البالية لا يزال يرتفع صداها حتى اليوم، فالبعض المُنصف يُحاول إشعال فتيل هذه النداءات القديمة لتعود من جديد، هادفين إلى بعض المكاسب الشخصية الصغيرة التي لا ترتفع بأهميّتها إلى شيء يذكر، فالقضية المُثارة باستمرار على أديم صحافتنا المحلية لا تحتاج إلى هذا التضخيم المقالي والتفنن العباري، فالمرأة هي المرأة على مر العصور وتَتَابع الأيام، فهي الأم الحنون والزوجة الخلوق والبنت الودود، وهذه مسلّمات وبديهيّات واضحة لا تحتاج إلى برهنة وتطويل، ولكن البعض يحاولون إعطاءها حقها المنهوب من قِبَل الرجل الشرقي وما هذا إلاّ هراء مضحك، لأن الإسلام عندما جاء كرّم المرأة وجعلها معززة بعد فترة سوداء جعلت المرأة أَمَةٌ تُشترى وتباع، هذه القضية الهامشّية يجب ألا تثار البتة كل هذه الإثارة المجانية، فالزمن بمعطياته وقضاياه وتفاعلاته يمر بالعديد من المتغيرات والتحديات

التي توجب التفاعل معها بطرق مجدية وباهتمام كبير، وكل هذه الأمور تريد التفرغ الكامل، الأمر الذي يجعلنا بعيدين كل البعد عن الدخول في اللغط المثار في قضية لا تستحق كل هذا التهويل المفرط، فالتاريخ بأيّامه وأحداثه يبين الفرق بين المرأة اليوم والمرأة في الأمس.. فالمرأة الحاليّة تعيش عصراً مزدهراً، يقدّرها التقدير الحسن، ويعطيها حقها كاملة، ولا تضطهد ولا ينتقص أي حق من حقوقها المشروعة، فهي الأم والمدرسة والمهندسة، وفوق هذا ماذا تريد؟ فأية حقوق هذه التي تريدها ؟ فالدين الإسلامي كرمها أيما تكريم والعُرف كرمها، الأمر الذي جعلها عظيمة تفتخر بعظمتها، فخولة بنت الأزور كانت عظيمة كفارسة، وسُكينة بنت الحسين كانت عظيمة كأديبة، والخنساء عظيمة كشاعرة، واليوم بيننا عائشة عبد الرحمن((بنت الشاطئ)) كاتبة متمكنة و صفة التمكن التي كانت تُلازم الكثيرات من النساء، دليل واضح على أن الأمة الاسلامية العربية لم تقنن دور المرأة بتاتاً بل أعطتها الدور الريادي الذي يجعلها تحقق نبوغها ورغبتها الحقيقية في بلوغ قمة الطموح، إذاً القضية الدائرة من أمد بعيد ما هي إلا فُقاعة من مَسَاخِر الزمن الجامد، هذا الزمن الذي يَخْلُق لنا دوماً مزيداً من الفقاعات الشكلية التي تُشع ويكبر بصيصها، وبهذا تتقاطر بعدها الكلمات من البشر والدمى الآدمية، وعليه، فإن الزمن الحالي غير الزمن السابق، فالزمن الحالي تطور كثيراً، وأعطى المرأة نوعاً من الريادة الطاغية التي تتفوق أحيانا على ريادة الرجال الأبدية، وها هي المرأة تستحوذ على زمام الأمور في كل

الشؤون، في النظام الاجتماعي والنظام السياسي والنظام الاقتصادي، وها هي الكثيرات موجودات، وفي مجالات مختلفة، رأيهن يسبق آراء الرجال، فالمرأة الحالية لها الصولة والجولة وبعدها يأتي الرجل الشرقي، فالأدوار تبدلت إلى الأسوأ، فالرجال أصبحوا إمعات لبعض النسوة، وبهذا، لا داعي لإثارة قضية خاسرة تسمى حقوق المرأة، ولا داعي للندوات والاجتماعات التي تحاضر وتُكَاتِب فيها عميدات النساء المتعلمات والمثقفات بل يجب التركيز هنا على حقوق الرجل الضائعة هذه الأيام.

* مجلة الرياضة والشباب - ١٣-٨-١٩٩٦

حــرب الأفيــون(*)

إن العصر الحالي بتقلباته العديدة جاء ليقلب المفاهيم والمسميات والتعريفات والمصطلحات بشكل غريب، فهذه المفاهيم تركت في النفوس والعقول حيرة كبيرة، لا تحل لغزها بسهولة وأمام هذا الاطراد العصري المتغير، شرع المنتفعون وصيادو المنافع بحياكة السبل والطرق الملتوية لتحقيق المآرب المشبوهة ولو كانت تأتى عن طريق القهر والظلم والإبادة والاستعمار وهذا الأخير كان ولا يزال يحتال بطرق شيطانية ذات لغة تطويرية عصرية جديدة، إلاّ أن الاستعمار ليبقى استعماراً بغيضاً، يحول بين الشعوب وبين تحقيق إرادتها الذاتية المستقلة وتبديد مفهوم العدالة وتخريب موارد الإنماء، فيها ونهب خيراتها ومدخراتها سواءً جاء هذا الاستعمار احتيالاً لشعب ما أو وصاية عليه بطريقة أو بأخرى أو تسخيراً لأرض ما أو لتجارة ما أو ترويجاً لفكر مدمر معين، فالاستعمار أحياناً يدخل من باب حرية التجارة ولكنها ليست أي سلعة عادية بل فيها فناء أمة وهلاك حضارة إنسانية قائمة.

الأفيون قديماً كان سلعة مفضلة لدى بعض الدول العظمى، سلعة نقدية مُدرة، تُدر عليها المال الوفير عن طريق التجارة وحرية التبادل التجاري بينها وبين أحد البلدان الآسيوية المغلوبة على أمرها والتي وقعت فريسة طَيعة في شراك الأفيون الذي يستورده التُجار الانجليز والأوروبيون إليها الأمر الذي جعل الملايين من الناس لا يعيشون إلا

بالأفيون وللأفيون، وهذا الوضع الإنساني المتدهور، حقق المال الكثير للتجار الاوروبيين وأدى لاحقاً إلى تدهورالوضع الصحي والاقتصادي للشعب المسكين مما حدا بالحكومة إلى حظر استيراد الأفيون وسن القوانين الرادعة وتطبيقها على المستوردين والمدمنين، ولكن الزمام كان قد فلت والداء قد استشرى وزاد الوضع تأزما وتفاقماً والأمور قد تعقدت ما أدى إلى نشوب حرب الأفيون الشهيرة. فكانت بحق حرب ظالمة دامت ثلاث سنوات. والسبب الأوحد: هو الافيون الذي جلب ويجلب، حتى الآن، المال والدمار في آن واحد بحجة حرية التجارة واعتدال المزاج وأوهام كثيرة.

* جريدة البيان - ٢٥-١٠-١٩٩٦

توأمة الفصحى والعامية(*)

اللهجة الاماراتية العامية تكاد تُحيي الأمل البائت في الصدور بسبب ما تحوى هذه اللهجة من ألفاظ ومفردات تراكيب لغوية فصيحة، ودارجة على ألسن الأفراد والعامة، فهذه العامية انتعشت وطفقت تتعاظم وتتمادى في سيطرتها على المجتمع الذي رضخ لها بكل سلاسة، فأصبحت بذلك سائدة على خلايا المجتمع وأقنيته العديدة هذا المجتمع الإماراتي الذي لا ينفصم عراه عن مثيله من المحتمعات العربية بلهجاتها المحلية والعامية، التي تزخر بكثير وعميم من وجوه الفصيح وأركانه المؤسسية.

كما هو معهود أن اللغة العربية تعاني من الازدواجية، لأن لها لغتين لغة كتابة (الفصحى) ولغة تحادث (العامية)، فهذه الإزدواجية اللغوية تخلق فجوة تباعد بين الإثنتين، وسنة بعد أخرى نرى التباعد بينهما يتسع، الأمر الذي قد يؤدي الى انحدار الفصحى، وانتصار العامية، لهذا السبب المهم والمقلق يحاول اللغويون، ومن خلال قوانين التطور اللغوي أن يوجدوا التناغم والتقارب الممكن بين اللهجة المحكية التي تعاظمت وتبحرت في اجتياحها بين العامية وبين اللغة الفصحى التي أصبحت لغة كتابة فقط، رغم الانتشار الإعلامي والتعليمي ووجود الكتب المتناولة فما زالت اللغة الفصحى تحبو بركاكة في مضمار العلوم بمختلف التخصصات، وزاد حالها علة وسقماً، أن البعض يحاول نفيها عن دوحة الشعر وروضة النثر، ولكن

من قبل هذا البعض المجدد، كان هناك آخرون حاولوا أن تكون عاميتهم لغة كتابة في كافة ضروب الأدب، ومنهم توفيق الحكيم ومحمود تيمور – في أدب القصة والرواية - وكذلك سعيد عقل وأُنسى الحاج و أدونيس وإلياس الخال فهؤلاء حاولوا تقويض اللغة الفصحى، وهم بهذا يريدون زعزعة بناء اللغة، والهيكل العام لها وأغلب شعراء الحداثة ينتهج هذا المنهج الغريب، وهذه المحاولات الفاشلة تريد تنحية الفصحى عن المعترك الواقعي. يقول لويس عوض لأحد الشعراء المغمورين آنئذٍ: (أنا مش راضي عنك حتى تكتب شعرك بالعامية)، أو (مالك ومال الفصحى فانها ثقيلة عليك – في الشعر – وعلينا).

هذه محاولة من المحاولات التي كانت تهدف إلى تقويض بيت اللغة الأم، لذا وجب على جيلنا الحالي المحافظة على هذه اللغة والدفاع عنها ضد التيارات التجديدية والتطويرية التي تهدف إلى تصحير اللغة وزعزعة أركانها بهدف التجديد العصري، نعم، نحن مع التحديث والتجديد والحداثة الحقة، ولكن لا يتعدى هذا التجديد بالشكل الشعري الى استبدال لغتنا الفصحى إلى عامية قطرية، أي لا تكون لغة شعرية مكتوبة بالفصحى، فالجميع مع الحداثة الشعرية اللغوية ولكن أن تنغمس في (تصحير) اللغة الفصحى بهدف رغبات شخصية فهذا فعل إنساني شائن، ويساعد على هذا، التلازم والتقارب بين العامية والفصحى، لذا نرى للأسف كلمات وألفاظ عامية، وتراكيب لغوية ركيكة تدخل المعاجم الحديثة بحجة إيجاد جسور تقارب

بينهما، ومن هذه المعاجم الحديثة، المعجم الوسيط الذي أُدخل فيه الكثير من تلك الآنفة ذكرها بسبب خلل التناسق اللغوي – أو التناسخ اللغوي– والتوأمة بين الفصحى والعامية، فنتجت عن ذلك التناغم المزعوم أخطاء وهزات لغوية أدخلها المجمعيون واللغويون عن غير قصد أو بقصد، مثل: الجريدة (أي الصحيفة اليومية)، وهي في الحقيقة تعني: سعفة النخل، ومصلحة الشهر، البروة (ما بقي من قطع الصابون بعد الاستعمال)، الشبكة (يقدمها الخطيب إلى خطيبته إعلانا للخطبة)، الطقم، التدبير المنزلي، السلطانية (وعاء يؤكل فيه)، الشبورة (الضباب في الصباح)، المكسرات، الجفنة (وعاء يستعمل للتبخير، ولا يكفى المبخرة لنأتي بهذه الجفنة.)، التصبيرة (ما يتناوله الجائع يستعين به على الصبر حتى ينضج الطعام)، بنات الليل، السمكري، السكرية (وعاء السكر)، بهت اللون (أي شحب وضعب)، التسريحة، المشجب (ما يتعلق عليه الثياب)، النملية (أوانٍ تمنع النمل والحشرات من الوصول إلى الأطعمة)، النارجيلة(الشيشة)، صندوق التوفير، الصنبور، الفوطة، التعريفة، دش(أداة ذات ثقوب ينصب منها الماء على المستحم) ، الأمثلة كثيرة، ولكن، (ومع المجدد بالأناة سلامة ومع المجدد بالحجاج عثار). ومنذ القديم تحاول العامية، والركاكة اللغوية والأغراض المشبوهة، أن تصحر روضة الفصحى لكي تكون محلها، ركيكة البنيان، مزعزعة المغزى، مذرورة المبنى، فالعامية التي نحن في مقامها العاجي، لا تتقارن أو تتشابه مع الألفاظ الأعجمية (أو الأجنبية) التي بقيت محافظة على نفسها

في قواميس اللغة الأم- وعلى الألسن أيضاً- بلفظها وشكلها الكتابي الأجبني (أي أنها لم تعرب) سواءً كانت رومية أو فارسية أو سريانية أو ... مثل: الفردوس، البستان، الترياق الإبريق، الطست، النسرين، الياسمين، كانون، وشباط، آذار، هذه الألفاظ الأعجمية كانت تتواكب مع اللغة الأم منذ الجاهلية الغابرة وحتى يومنا هذاالذي نشط فيه التعريب بشكل بسيط، لأن هناك ألفاظاً أعجمية ظهرت في حياتنا مثل: الثيوقراطية، الأوليغارشية، الدكتاتورية، الفيدرالية، الجيوكيمياء .. لم تعرب بعد لهذا وجب على المعجميين واللغويين الإسراع في تعريب الألفاظ الأعجمية التي تعتبر من حصاد ونتاجات العالم المتمدن الحضاري الذي تظهر طفراته الحضارية في كافة أقنية العلوم الإنسانية والتكنولوجية.

المهم، عندما نتحدث عن العامية يكون الحديث الرجاج مصباً في بحر الطغيان اللغوي العامي الذي أدى إلى خلخلة البنية التحتية للفصحى،. الأمر الذي جعل المختصين اللغويين يرسخون أسساً ومعايير لغوية متجذرة بين تدفق العامية وانحسار الفصحى عن طريق تسهيل اللغة الفصحى وإحياء الألفاظ والتراكيب العامية ذات الجذر اللغوي الفصيح المتأصل، فهذا قد يكون أمراً محموداً إذا قُننَ وهُذب وروعيت فيه المعايير والأقنية السليمة، ولكن أن تكون العملية مُسهبة مغرقة في الفوضى والغوغائية،من أجل التقارب والتناغم فقط، فلا، لأنها لا تجني فائدة تُذكر.

فنحن دوماً مع مثل هذه العمليات الابتدائية والتناسقية والإبداعية والتقاربية لكي نخلق توأمة عادلة بين الفصحى والعامية،نحن كذلك

مع إحياء الشريان الخافت اللغوي الفصيح في اللهجة العامية المحكية التي تزخر بالفائض اللغوي من أصول لفظية فصيحة، حتى أن أشعاراً نبطية وشعبية تنضح بالكثرة الكاثرة من الألفاظ والجذور والأفعال الفصيحة، بل تحافظ عليها من الجرف الشعوبي الغاشم، فهذه الأشعار لها محبوها وعاشقوها وشعراؤها الذين لهم باع عظيم في مجال الشعر فصيحه وعاميته ونبطيته، وشعراؤنا الإماراتيون أثبتوا ذلك في مناسبات كثيرة.

* جريدة الاتحاد – ١٩٩٦/٧/٨م.

الأرقـام المتسلسلة.. هل هي عنـوان الحضـارة؟(*)

إن الشعوب الإنسانية عندما تقيس تطورها الحضاري البناء ورقيها التقني فربما يكون للعامل أو الجانب المادي دورا مهما في عكس تلك الصورة الناطقة بمعنى أن الحضارة الإنسانية القائمة في أية أرض عامرة تبين مدى تشرب وتفهم أهل هذه الأرض لمعاني وقوانين وأسس قواعد التحضر وهذا لا يعني أبداً أن التطور الحضاري يقوم على الجانب المادي دون سواه أي متركزا على ركائز العمران والمادة والتطور التقني والتقدم العملي والطابع الاستهلاكي ونسيان الجانب المعنوي الهادف دون النظر إليه، وروح أية حضارة قائمة هي الإنسان العاقل الرزين والواعي الذي يفهم ويعي معنى الحضارة الحقيقية ويتماشى معها بما يخدم أصول دينه ومعتقداته ومفاهيمه الاجتماعية الخاصة ويتناغم مع الحضارة بأناة وعقل واع وفكر متقد فلا يخلط الأمور والمفاهيم خلطا عشوائيا، ولا يبدل الأساسيات بالهوامش التافهة، ويغني على الأثر كأنه هو الخالد الموجود وينسى الآتي الجديد لأنه غريب.

التعامل مع وجوه الحضارة ومفاهيمها يجب أن يكون حذرا واعيا ينم عن ثقافة ومعرفة بالخفايا قبل الظواهر البراقة ويجب أن يعرف الإنسان الحالي ان الحضارة المادية الجارفة عندما تبتسم

له لتعطي بعض الفتات الزائل من رموز الاستهلاك المعروفة، ليست هي الحضارة المنشودة ولا هي من بناتها العزيزات لأن الحضارة المثالية لا تقوم على الاستهلاك المفرط، فأرض تنتج وتبدع وتخلق وأرض أخرى تستهلك وتأكل وتنام على موارد الآخرين فأين الحضارة الإنسانية في هذا؟ إن الإنسان القديم عندما حاول التقدم والتطور في حياته الاقتصادية والاجتماعية لم يتقاعس ولم ينم قرير العين بل عمل في أصقاع المعمورة وأديمات الأرض يستفسر ويسأل ويبحث ويقلد، رغم بدائية حياته الأولى ولكنه اتجه إلى الصيد وملاحقة الفرائس واختراع أسلحة الصيد التي تكفل له التوفيق والنجاح ثم اتجه إلى الأرض والعطاء الخالد، حيث المأكل والمشرب والأمان والنتاج والبناء وظهور الحضارة.

ومن هذه الأرض ومن هذا الإنتاج الحقيقي ارتقت الحضارة الإنسانية وترعرعت وعليه نفهم أن التطور ليس في ركوب سيارة فاخرة، واقتناء الهواتف المحمولة، وشراء الملابس الفخمة وفوق هذا الشره المادي، المظاهر الخداعة التي قصمت ظهر الحقيقة.

فالمظاهر الخداعة المخترعة من مفاهيم الحضارة وهو ما يعتقده البعض، تثير العجب والاستغراب فالواحد منا عندما يركب سيارة فخمة يجب أن يفكر في رقم جميل لها، وعندما يشتري هاتفا محمولا يجب أن يكون الرقم جميلا متسلسلا!!، دراما عجيبة وفوق هذا العجب، أن الارقام الحضارية (الحلوة) موجودة في جيوب البعض، أقلامهم الراقية توقع.

وفي الآونة الاخيرة دخلنا الحضارة من بوابة الرقم رقم سيارة ورقم الهاتف رقم صندوق البريد وأخيراً رقم تاريخ الميلاد. والجحافل البشرية اللاهثة، وراء تلك الأرقام تراها في المؤسسات والدوائر تبحث عن المدير المسؤول، تريد منه التوقيع الرهيب حتى تقتني أرقاماً عظيمة ومن ثم يبدأ كرنفال التفاخر والمظاهر الخداعة وعمادها الرقم، ولكن علام هذا التفاخر والمظاهر الخداعة لا أدري هل هو نوع من مسايرة الركب الحضاري المنشود الزائف، وفي هذه الدراما المشعة تظهر (الواسطة) التي لها الرمز الأول والمفتاح الأول، فهي الشفيعة والكفيلة بإحضار الرقم مهما كان مكانه وبدوره أي الرقم الجميل سيبرز ملمحاً هاماً وفكرة هامة: إن صاحب الرقم الجميل هو (هامور) أو (حوت) وفي هذا يتضح أن الحضارة لدى البعض تستند على هامشية الرقم، والمظاهر الخداعة تقول ذلك.

* جريدة البيان ١٧-١٠-١٩٩٦

الشرق الأقصى .. مثال يجب أن يحتذى(*)

إن المتفحص لدورة التطور الدائرة التي تعيشها الأمم، يتعجب من سرعتها وتغيرها السريع، فأمم كانت تقبع في مؤخرة الركب الحضاري، أضحت في حاضرها متقدمة حضاريا،وتتحدى أمم الأرض قاطبة من مسايرتها أو التقاط إكسيرها الحضاري الخفي، وها هي أمم شرق الأقصى تستيقظ من كبوتها العتيقة، وتنفض عنها أسمال الرجعية والتخلف والتقهقر لتصحو على شمس الحقيقة الجديدة وهي السعي خلف الركب الجافل واقتناص زمام القيادة، لتكون ممثلة الشرق بأكلمه في المحفل الدولي الجديد.

فالصين كنموذج . تفتح أبوابها ليتحرر المارد الصيني التقليدي مهددا الأمم الأخرى بحضارة شرقية عريقة سوق تستحوذ على مكان بين في المجتمع الدولي ، حضارة صينية، بنت اليوم وتخطيط السنين الماضية ولها صولة الفيتو الصيني التاريخي، فهذه الحضارة الآتية تنبئ عن نفسها بكل جرأة، فالتقدم، بكافة أنواعه، الذي تحياه الصين، يبين أن الأمة الصينية لم تنظر إلى الوراء وتدندن على المواويل العتاق ولم تكفكف أحزانها التاريخية البائدة ولم تجتر مساقمها لكي تصنع لها مأتما وأمسيات حدادية بل قامت باسقة ناصعة لتصنع أمة قوية لها اليد الطولى في قرارات العالم الجديد، أي لها قرار معترف في أي محفل دولي، فالصينيون لم تثبطهم الحروب، مثل حرب الأفيون وغيرها، ولا النكسات، بل شرعوا يزيلون البقع التاريخية الربداء

لتشرق على بلادهم شمس جديدة صابحة، شمس الحرية والإنماء الحضاري الشامل.

فالصين إذا، أمة كأي أمة إنسانية لم ترتض بالمهانة والاستكانة والخنوع والخمول، ولم ترتض لعرقها الأصفر أن يكون أقل منزلة من العروق البشرية الأخرى، وبالأخص العرق الأبيض المتمدن، ولم يرتضوا بهذه الدونية العنصرية بل رموها في قليب الزوال، وتحرروا وتحرر معهم على نفس الدرب أمم أخرى تنحدر من نفس العرق الأصفر، فظهر اليابانيون والكوريون الجنوبيون والشماليون والماليزيون ليخبروا العالم الحالي أن أمما نامية صفراء الجلدة أفاقت من سباتها العميق، أمما تحاول جاهدة اللحاق بالركب الحضاري وبل تتحدى الجميع بطفرة حضارية لا تضاهى البتة، والأيام القادمة هي الفيصل الأكيد، وعليه، فلينتظر الجميع ليروا أمة الشرق الأقصى ماذا تقول لهم وبأي لغة تحاورهم، وأين يكمن الدرس الكبير الذي سوف تهديه إلى العالم مجانا!!

* جريدة البيان ، ٧-١٠-١٩٩٦

العصر الحجري يولد من جديد!!(*)

إن العصر الحجري القاسي سيعود لا محالة وها هي البشائر الظاهرة توحي بذلك فالدمار الذي يعيشه إنسان هذا العصر، طغى على كل قول وحدث ومنطق فالحروب المستعرة في كل بقعة والتي أفنت الملايين من الأبرياء وشوهت الملايين وشردت الملايين وبعد العزة والكرامة والأنفة، تحولت الجموع البشرية إلى مستنقع الذلة والهوان والانكسار، والإنسان المعاصر دمر العالم بظلمه وجبروته وصلفه وغروره وعصره الحالي المحتضر يعيش عصر الاحتضار الأبدي الحقيقي والمؤشرات المنطقية كلها تشير الى فناء عناصر الاستقرار والأمان والمدنية، فالحروب الطاحنة أطاحت بكل مقومات الحضارة والمدنية وجعلتها أطلالا وخرائب دائمة ودمرت كل رقعة خضراء كانت في يوم من الأيام ملاذا ومقرا حيويا للانسان ورغم التقدم التقني في أقنية العلوم والمعارف إلا أن الدمار لحق بكيان الإنسان فالحروب المستشرية من جهة تبيده إبادة لا رأفة فيها والأمراض الخرافية من جهة أخرى تفنيه فناء رهيباً، والأمراض المستعصية تدمره أيما تدمير، فالإيدز والبكتيريا المتوحشة والكوليرا تزلزل الارض من تحت قدميه، وها هي شعوب أفريقيا قتلتهم الحروب الظالمة ثم جاءت الكوليرا لتكمل على البقية الشاردة، هربا من طاعون الحروب ليموتوا من داء الكوليرا اللعين.

والبشرية تعاني الأمرين من العلل الجديدة وهي ضريبة الحضارة التي تظهر بوجهها القبيح بين الفينة والفينة فبعد الإيدز الحاصد جاءت البكتيريا الوحشية لتزيد الخوف خوفا والهم هما والمرض كمسمى لا ينتهي ولا يتوقف.

فالعلماء يكتشفون أوصابا و أمراضا جديدة أشد فتكا ببني الانسان من تلك الأمراض المعروفة والإنسان الحالي مستهدف بأكمله فالحروب من جهة والأمراض من جهة والمفكرون وعلماء الاجتماع والعلماء والأطباء في حيرة مرة لا يعرفون ماذا يفعلون رغم الطفرات العلمية في كافة المجالات والمزامير العلمية، إلا أن الإنسان الحالي ما زال مشرداً تحت مظلة القهر والجوع والمرض والعاهة، يتمنى العودة السالمة للعصر الحجري القاسي وأمام هذه المأساة الغريبة يبقى الانسان الحضاري صامتا يؤثر السكوت ليرى أخاه على أرض أخرى كيف يموت بشكل مؤلم، وآلاف من البشر يموتون جوعا ومرضا وآخرون يموتون سمنة وتخمة وشبعا وبين الموتين نرى الظلم الإنساني كبيراً وشنيعاً وكم يبدو الانسان المعاصر تافهاً وأنانياً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

* جريدة البيان ، ٢٦-٩-١٩٩٦

الطفولة بين الأمس واليوم(*)

يعيش العالم المشحون شحنا بآهاته وظروفه المتقلبة وهزاته صراعاً كبيرا بين الثوابت والمتغيرات، فزمن البراءة والطفولة الناعمة والحنين إلى الماضي البسيط راح وغدا سرابا وحتى عالم الطفولة طاله التغيير والتبديل فطفل اليوم غير الأمس والتناقض بينهما كبير ومرير فهما متناقضان في الحالات والعوامل والمسببات السيكولوجية رغم التشابه في الصفات والنعوت والأسماء والحالات الشكلية والفروقات الفسيولوجية.

والطفل يعيش اليوم في عصر المتغيرات يعيش عصرا يفتقد فيه الحنان فالجميع بلا تفرقة يحاربه ويزعزع طفولته فالأسرة تحاربه والمجتمع يحاربه ويعيش اليوم حياة البرمجة الكاملة.

الأسرة الوقورة تعامله معاملة خاصة، برمجة خاصة له، تقوم أحيانا على التدليل المبالغ وتلبية طلباته دون إمعان أو تفكير أو تمحيص، الأمر الذي يجعله إنسانا اتكاليا في مستقبله الحياتي.

تصرفات غريبة تهيمن عليها طفولته الغابرة المدللة بكافة تجاربها ومراحلها وخبراتها لتصب جميعها على هيئة أعمال وأفعال وتصرفات عملية تنم عن خلل ما في تربيته الأولى، ولا يقتصر الأمر على مجرد خلل ما، بل تتعمق هذه الهشاشة التربوية إلى صورة قبيحة إذا ما اعتلى طفل الأمس ورجل اليوم مناصب لها طابع الهيمنة الوظيفية الإدارية فتلك الهشاشة الآنفة أقيم على أنقاضهاإنسان مزعزع في شخصيته لتدخله إلى عوالم مجهولة تؤثر عليه مستقبلا وبالتالي تطال المجتمع بكافة أفراده والطفل في بعض المجتمعات يعلم كيف يعتمد على نفسه اعتمادا كليا حتى لقمة عيشه يدبرها من كده وعرقه

فأكداس الطوب اللبن نراها محمولة على رأسه الصغير والطفولة بين عينيه تموت رويدا رويدا وبعد انقضاء نهاره الشاق يذهب إلى ذويه الذين ينتظرون منه حصيلة السخرة الإنسانية المبكرة ينتظرون منه بعض المال الذي يدفع له مقابل وأد طفولته بأية طريقة غريبة وتناقض عجيب، والطفولة دخلت عهدا لا يعبأ بشيء سوى تكبير الجسم وتقوية السواعد وتلبية الطلبات أما العقل يتحرك أمام الأعين، فهي لم تظهر كنبتة شيطانية فجأة بل ظهرت بسبب ظروف وعوامل، تداخلت وتشابكت، سببها الأول الأسرة بالأب، رب الأسرة في مملكته الأبوية يتحرك بأسلوب أبوي قديم أسلوب التعويض والهاجس النفسي يطغيان عليه فبتدليله وإرضاء طلباته يعتقد أنه يربيه التربية السليمة حتى بهذا يرسخ فيه عقد نفسية خطيرة تسود حياته المستقبلية فالطفل في مراحله الأولى ذكرى حية ماشية تلتقط كافة الخبرات المتناثرة من محيطه وهذه الخبرات المتراكمة تؤثر عليه في مستقبله الآتي. فالأحداث الجانحون أتوا من أسباب عدة ومن ضمنها الأسرة سواء كانت الأسرة الغائبة الحاضرة أو الأسرة المفككة، فهذه الأسر تغير معالم الطفولة البريئة بشتى الأشكال والصفات فظهر الطفل المدلل والطفل العدواني والطفل المنطوي وبعد ذلك قس حين تمضي الأيام وتنبلج خوافيها ويكبر أولئك ويصبح الفتيل الهامد قنبلة موقوتة تتحرك، تنتظر التوقيت المناسب ليسقط الضحايا الأطفال والمذنبون والمهملون في لحظة واحدة.

---

* جريدة البيان ، ٢٤-١٠-١٩٩٦

الثقافات والأنثى(*)

يترنح بعض الأدباء والكتاب على موائد الغرب الفكرية، ليفجروا نتاجات وصيحات طنانة عن المجتمع الغربي، ونعته بالمدنية الراقية التي تسمو إلى قمة الحضارة الإنسانية الخالدة، لأنها تزخر بكل المقومات والجماليات والمفاهيم والمثل النبيلة، وخاصة تلك التي تخاطب عقول الأنثى، ولكنها في حقيقة الأمر ما هي إلا محاولة لتسميم العقول الغضة ونخرها، بدعوى المدنية المنتهاة، والتي فجرت فينا ثقافات غريبة متمردة، ومصوبة نحو الهرم النسائي عندنا، لكي تتصدى للإسلام بأسلحة شيطانية مدمرة، وأولها: السفور بحجة التعلم، أي السفور ممزوجا بالعلم، فكأنما السفور يدخل كبند أول من بنود وقواعد الرقي الأكاديمي والثقافي، وهذا من التناقضات في زمان الأضداد، فالفرنسيون والثقافات والفنون شنوا هجوما ضاريا على فتاة مسلمة صغيرة، لأنها ترتدي حجابا في إحدى مدارسهم، فهكذا يحاول الغربيون الماديون بذر مفاهيم غريبة في فتياتنا الغريرات، ومخاطبتهن بلغة المادة القديمة، حيث لا مكان للروحانيات والمثاليات عندهم،فكل شيء يشتري ويباع، يستعمل ويترك، فنظرة إلى مملكة العارضات الحسناوات، تري نساء من عالم آخر، كأنهن دمى بشرية منتقاة من سوق النخاسة، ومحلاة بألوان وأزياء فاقعة تسر مرضى النظرة، وعشاق المادة المتحركة.

*جريدة البيان ١٥-٨-١٩٩٧

أكلـة لحـوم البشـر يعودون من جديد![*]

إن زمن الخرافة انقضى إلى الأبد حيث لا رجعة له، ولكن زمن الانقلابات السريعة والطفرات الخاطفة، جاء ليعلم إنسان هذا العصر المغرور شيئاً يجهله كل الجهل، أي يعلمه أن الخرافة قد تولد بين طياتها حقيقة ملموسة ومرئية، والدليل أن الإنسان المكرم، سيد الأنام والمخلوقات غذا ألعوبة مستهدفة، أي (قطع غيار إنسانية متحركة).

فبعد الاطراد الطبي المتقدم من تجديد في خلايا القلب واكتشاف عقاقير تمنع رفض الجسم الأعضاء المزروعة، الدخيلة، فتحت آفاقاً سوداء على بني الإنسان، لأن تجارة الأعضاء الآدمية انتشرت في دول كثيرة وبقاع عديدة، تظهر الفضائح في دول أمريكا اللاتينية والدول الفقيرة في أفريقيا وآسيا، لتبين مدى الانحدار الأخلاقي الذي وصله الإنسان الحالي، فالأطفال الأبرياء يختطفون ويقتلون، والعصابات الإرهابية تشرف على هذه التجارة اللانسانية المروعة .. فالفقراء يباعون كما تباع البهائم والأنعام، والله، إن البهائم تعرف أن مصيرها إلى الذبح الأكيد، ولكن، أن يذبح طفل أو رجل أو امرأة، ويقطع عضو من أعضائه غصبا وقوة وهو دهش وحائر، لا يعرف جنسه أهو إنسان أم حيوان، فهذا هو قمة المأساة، فكلية مسروقة تباع بآلاف الدولارات.

الأغنياء المتوعكون يدفعون بسخاء والفقراء المغدورون يقتلون بشراسة، منطق الغابة أرحم من هذا، فالحيوان يقتل مرة واحدة، وينتهي دوره بعد هذا، أما أن يطعن إنسان مسالم غدرا، وينتشل

من جسده،رأس ماله الوحيد، عضو ليعطي إلى صاحب العطاء الأكبر، فهذا وربك، قمة المهازل الإنسانية، وعلى هذا الركام الرخيص ازدهرت تجارة رابحة بفعل الازدياد في الطلب العالمي، فكلما زاد الطلب، زاد الإنتاج، وبالتالي ازداد الضحايا والمغدورون والأبرياء.

إذن، العملية كلها تقوم على تكاتف عوامل عديدة، منها: ، والتطور الطبي المنحرف والأطباء الخونة والضمائر الرخيصة ووفرة المادة، فكلها تصب لتكون حقيقة خطيرة وهي: أن الجنس الإنساني بأكمله دخل في قانون جديد، يهدف إلى تطبيق عملي وهو أكل الإنسان أخيه الإنسان، أي العودة البوهيمية إلى عالم أكلة البشر وبأسلوب أكثر تحضرا ورأفة ومرونة.

* مجلة الشباب والرياضة ، ٢٨-٩-١٩٩٦

الحضـارة ... إنسـان أولاً(*)

إن الأمم والشعوب عندما تستنهض مقومات الحضارة، فإنها تستنطق كافة تلك المقومات حتى لو أدى ذلك إلى استشراف المستحيل وتطويعه وعليه فإن الأمم تتسابق بسرعة في الركب الحضاري لتحقق لإنسان هذا العصر السريع الرخاء المادي والهناء النفسي بشتى الوسائل الممكنة والمتاحة لها.

فالتقدم الحضاري المثالي لأية أمة أو دولة أو مجتمع يتأتى بازدواج عاملين اثنين، المادي والنفسي.

فمثلا أركان الحضارة المادية عندما تقام وتشيد على هيئة طفرات عمرانية وما شابه، فإنها تحتاج إلى جو نفسي عام صالح يكون الإنسان فيه صالحا بانيا لا مخربا أو عدوانيا، وغير مصاب بآفات وأمراض نفسية تضر به أولا وبالمجتمع ثانيا، وتأسيسا على ذلك نقول إن دولة نامية كدولة الإمارات العربية المتحدة تنفق الملايين الكثيرة من أجل إرساء عمليات التنمية الشاملة في جميع المجالات حتى تبني دولة عصرية حضارية ذات سمعة راقية. وعندما تشيد الدولة المباني والمرافق الخدماتية لتكون الواجهة الحضارية المادية فهي تخصص الجزء الأكبر من ميزانيتها من أجل تحقيق ذلك، فالدولة إذا، تقوم بدورها على أكمل وجه، لذا وجب علينا كأفراد نعيش على هذه الأرض الطيبة من مواطنين ومقيمين أن نقدر هذه النعمة المتوفرة، وأن نستغلها الاستغلال الأمثل في حدود اللياقة والذوق، فهذه

المنجزات، والقطاعات والمباني الخدماتية، الظاهرة أنشئت لإسعاد وراحة إنسان هذا الوطن فعليه إذن أن يحافظ عليها ولكن كما قلنا سابقا، فإن التطور المادي المطرد مرتبط بجو نفسي سليم، فالبعض لا يعرفون جدوى هذه المرافق فيقومون بالتخريب والتدمير بلا سبب، اللهم إلا التنفيس عن نزعة عدوانية تتملكهم !.

فانظر إلى بعض المرافق الموجودة في بعض أرجاء الدولة ترى آثارهم واضحة كما في بعض الحدائق والمستشفيات، وحتى لوحات المرور الإرشادية لم تسلم.

إذن، ظاهرة التخريب المتعمد تأخذ أبعاداً نفسية عديدة وأشكالا سلوكية متفاوتة.

لذا وجب على المختصين والمسؤولين التصدي لها ودراسة أسبابها وغرس التوعية النيرة لما لهذه الظاهرة الغريبة من أضرار بالغة تكلف ميزانية الدولة الكثير والكثير، لهذا فهي تحتاج لوقفة طويلة ومتأنية، فتدرس مثل هذه الحالات بواسطة اختصاصيين متمرسين، حتى نخرج بنتائج إيجابية.

---

*جريدة البيان، ٢٧-٧-١٩٩٧

شيء من السحر الخبيث(*)

استشرى الغريبو المستحيل، حتى غدا بين اللحظة والفينة ممكّناً مشخّصاً، يطوقه أرباب النزوات والقلوب الخاوية، هذا الزمان الضاري الذي جعل كل شيء مبعثراً على محيّا البشر والواقع، لتنهشه مخالب سوداء منغمسة فيها، فيها بذور مستهجنة وغريبة عن مجتمعنا المسالم الصغير مثل: السحر، التنجيم والمنجمين، والجان، والشعوذة والمشعوذين والودع والرجم بالغيب «الكهانة»، وقراءة الحظوظ، فهذه تدمر الإنسان وتحط من كرامته وآدميته وتسلط عليه شقيقه الإنسان، في حالات السحر الأسود، ليجعله كالصلصال اللدن، يشخصه كيفما يشاء ويشتهي.

فالرغبة الخبيثة أولاً ومن ثم يليها التشكيل والتجسيد، وعلى هذا كله وجه جديد من وجوه الجاهلية الجاهلة، كيف لا والجهلة والجُهّال والسّذج من العامة، يتلقّفون ويؤيّدون تلك الهفوات والسفاهات لقفاً سريعاً وتأييداً عظيماً، فكأنهم أصيبوا بعدوى التصديق والتسليم الكبير.

إذا، القضية العجلى والفكرة الرئيسية هنا هي: قضية السحر أو ما يسمّيه الأهالي والعامة العمل أو السوى، والذين انخرطوا فيه جهلاً وسذاجة معتمدين على أناس يحترفون ويمارسون فعلة الاستهواء فهؤلاء يسمّيهم العامة مطاوعة تجاهلاً وجهلاً، والمطاوعة براء منهم، ومنزّهون من هذا النّعت المغلوط والآن هاكم بعض الأمثلة

الاجتماعية لأناس قليلين يتذهّبون بهذا المنحنى المدمّر وينتهجون هذا الدرب الشائك.

١- زوجــة خدوع، تصفــد زوجها برباط الزواج وهــو غير راغب بها، يمقتها أفظع المقت والكره فذهبت عند أحد الدجالين. من طلاب المال، وعملت له عملاً سحرياً، وأغدقت على الدجال أموالاً فائضة ليتقــن الفعلة، فهي اشــترته بها لأنها لغة العــصر المادي، يعرفها الجميــع، لغة جذابة تهفو لها النفــوس المريضة طلباً لرنة المادة، لتكون المحصلة نفساً شــيطانية ومالاً وفيراً وعملاً سحرياً بغيضا، ثالــوث كبير يدور في إطاره ذاك الزوج المســكين، المذلول ليعيش عيشــة لا يرغبها وهذه زوجته أمامه تشــاهده والبسمة الصفراء تعلــو ثغرها، جاءت أفعى آدمية رقطاء تلبس الحشــمة والوقار، ولكنها في الحقيقة لعنة من لعنات هذا الزمن المر.

٢- امرأة مطلّقة تعرفت على شاب غرير، دست له في حياته الباسمة، سم «العمل» فأصبح الشاب منقاداً لا يطيق فراقها، أصبح مثل الظل الظليل الذي لا يتركها أبداً، ينفذ كل مبتغاها وحوائجها، وأخيرا تتزوجه، لتحل البركة الخضراء عليها، والغمة السوداء تلهب مضاجع الزوج المسكين الذي هو في عمر أحد أبنائها.

ولكن ، زمانٌ نافر يروضه كل سائس ليجعله مألوفا سلسا له نكهة الوداعة ومذقة الغرابة، فالسائس الخبيث يروض أخاه الإنسان ويدمره ذاته حتى ولو استعان بقوى خارقة من عوالم أخرى خفية «الميتافيزيقا مثلاً» كعوالم، فهذه الأعمال التي يقوم بها البعض

المتغابي، تكون نهايتها الدمار ثم الدمار الذي يهلك أناس أبرياء «الضحايا» ويغرقهم في بحور من الضياع النفسي الجامح الذي لا يتوقف بل يتفرع إلى علل وسقام نفسية مزمنة، ونحن بعد هذا كله نعتقد جازمين أنّ أولئك الضحايا في غمرة السعادة الأبدية التي لا تضاهيها سعادة، وحالهم كحال هذا البيت الشعري الذي يقول:

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرباً

فالطير يرقص مذبوحاً من الألم

وهذه دعوة للحوار البناء..

* جريدة البيان، ٢٠-٨-١٩٩٧

وقفة مع الغربيين ورفقهم بالحيوان(*)

يخالج المرء شعور مضطرب متذبذب بما يشاهده من وقائع براقة تثير أغبره إعلامية تبهر القاصي والداني، لأنها تزخر بالغرابة أو بالأحرى عنصر الإدهاش المتفرنج الذي نشاهده واضحاً في العالم الغربي الذي يتحفنا بمبررات كبيرة الإشعاعات، عظيمة الآفاق، رحبة المحطات عن رفقه بالحيوان، كمثال عملي حركي يُقْدُم ويرسم للعوالم الأخرى الرازحة تحت سقوف الجهالة الحضارية، فالحيوان عنده - أي العالم الغربي - له رحماء وشُفقاء يعامل على أسس إنسانية نبيلة، لأن الغربيين يرحمون الحيوان رحمة تفوق كل التعابير الفخمة ويوفرون له أجواء خلاّبة ليحيا فيها، لهذا لا نستغرب إذا ما رأينا غربياً ماسكاً أو محتضناً كلباً أو هراً، وراعياً ومربياً ومعايشاً له في عقر داره ومنزله، ومعطيا كل عنايته لهذا الحيوان الأليف، تصرف جميل غريب، ويثير تساؤلا قلقاً ، وهو لماذا لم يقف قطار الرفق بالحيوان عند هذا الحد؟ ليتعدّى المألوف والواقع بكل غرائبه وعجائبه، فنادق للحيوان تقام، وصالونات فاخرة تشيد، والنزلاء ليسوا من بني البشر بل حيوانات وديعة ومريشة، ويزيد على ذلك أنّ الحيوان يورّث كالإنسان، أي أن الإنسان المورث يحرم أخاه الإنسان ليعطي المال الوفير لحيوانه الودود، أهو بهذا يعاقب الإنسانية؟ أم بنفسه عن رواسبه النفسية المختزنة في أسبار نفسه؟ ربما نعم! أو لا، ولكن الأرجح أن هذا التصرف له غور نفسي لا يسبره إلاّ المتخصصون، وأهل الدراية، وقد

يثير العجب وأسئلة حيرى عدة، هبة سخية لحيوان، وبنو الإنسان هناك على أرض يابسة يلتحفون الجوع والخصاصة، ويأكلون مالا يؤكل حفاظاً على حياتهم، وهذا الحيوان يرتع في بحر حنان وعطاء لا ينضب، بل كاد أن يصبح من البشر، له حاشية وبطانة و ميراث كبير، مدنية متحضّرة أو رحمة إنسانية ناضجة أو ...!! فهناك تفاسير أخرى ولكن لا مجال لذكرها لانها ستثير الغضب والاستغراب.

ورحم الله الشاعر حين قال:

لا تعجبن للزمان إن كثرت منه أجاجيبه ولا دربه
فالدهر لا تنقضي عجائبه أو ينقضي من أهله إربه

العالم الغربي لما بنى حضارته الخرافية هذه، شرع عجولاً يتقافز نحو التطور الذي يبتغيه بخطى ضوئية لم يسترح بعدها بتاتاً بل تمادى في طفرته الحضارية التي أدت إلى فصل عرى الأخلاق عن هذا البناء الحضاري ونفيها بعيداً عنه، شرع الغربيون لهذه الحصيلة أو الوفرة المدنية المادية بالانغماس في حصادها انتشاء متواصلاً دونما تدبر بالعواقب التي سوف تكون وخيمة عليهم وعلى الجانب الروحي الخلقي، فالمدنية والريادة الحضارية تحققت الآن والحرية المطلقة عنوانها، الأندى والأكبر، حرية متشعبة قد تمادت بشكل فظيع، ولكن ألم يحن لهذا الركب المتسارع أن يقف قليلاً ويعيد حساباته؟ لكي يحتاط من حريته الجافلة التي أظهرت نتائج وأوصاب نفسية وعاهات مستديمة في تلك الشعوب المتحضرة، الأمر الذي جعل الغربيين عاجزين أمام طوفان الحرية الهادر، حيوان يفضل على إنسان فالأول ينام على سرير مريش ويغذى أغذية تكلف

الكثير، وتبنى له الفنادق والمستشفيات، والأدهى منه أنه يورّث الملايين وصاحبه فرح لأن ماله المجمع وجهده سيعطى لحيوانه الوفي تاركاً الثاني- الإنسان - متحسراً لأنه حرم اللذه الحياتية التي يعيشها الحيوان سواء كان كلباً أو ذئباً او دبّاً. لذا يرفع شعار «الرفق بالإنسان» لعله يرى بصيص نعمة فقط.

*جريدة البيان، ١٧-٨-١٩٩٧

حـالـة الإعـلام اليـوم(*)

أضحى الإعلام اليوم - الإعلام العربي المحلي- لايواكب كثيراً للأسف أي متغيرات أو وقائع أو ظواهر، ولا يتبنى رسالة واضحة المعالم تنعكس فيها ثقافة ومفاهيم خاصة بنا، فقد أضحى يقيّد نفسه باستيراد أحدث التقنيات والتكنولوجيات والخبرات المتطورة، ليركز على تخطيط برامجي واحد، ينطلق ويعود إليه دوماً ألا وهو الترفيه والتسلية والترويح، نعم بعدنا عن إطار الواقع المعاش بمشكلاته، لننغمس في الترفيه والتسلية، فأغلب البرامج المشاهدة تنطلق وتبنى على أساس الترفيه دون سواه، حيث يشكل نسبة ٨٠٪ أو ٩٠٪ على خارطة البرامج! ومن هذا المنطلق الغريب، تصبح العملية الإعلامية كارثة، إذا ما تفوقنا في هذه الدائرة، ساعتئذ نصب ونستقي كافة السياسات الإعلامية على نهج واحد، خالقين لأنفسنا سياسة إعلامية روتينية دائرية مغلقة مملة، تستند على الإبهار الإعلامي والإشعاع البرامجي المكرر ونحن هنا لا نقلل أبداً من سياسة الترفيه، أو ننتقص من الترويح أو التسلية، ولكن لا يجب أن تطغى تلك السياسة على كافة الأولويات والسياسات الأساسية الأخرى لما يتمتع الإعلام على عمومه من تأثير بالغ الأهمية على كل العقول والنفوس فهو يحتكر مخاطبة الجمهور بلا قيود أو حوائل وبلا مواربة، وسائل الإعلام

الحالية أفتك وأخطر من أي مرض عضال إذا ما وضعت لها سياسة خاطئة، لأنها قد تؤدي إلى شن حروب مستعرة على المشاهدين قوامها وبنودها الدعايات المبهرة والأفلام والمسلسلات والموضوعات النفسية، لهذا كله أصبح الإعلام الحالي سلاحاً فتاكاً تستخدمه بعض الدول لتفتك بأخرى لكي تغسل أدمغتها من أي ارتباط بمحلية الواقع أو بقيمة إنسانية فضلى وتجرها مع تحولات واقعها المطردة والمتلاحقة إلى هوة الانسلاخ عن كل القيم والمثل والأعراف النبيلة ودفعها إلى التقليد على حساب نسيان الواقع الإنساني المتأزم وهجران المجتمع المجروح والمهموم بمشكلاته وأتراحه، إذاً الإعلام – أي إعلام – يتبنى دوراً كبيراً وخطيراً كالدور الثقافي والتثقيفي والوقائي لما يشهده العالم المتحضر من قفزات متسارعة في المعلومات وأصبح الآن مشروعاً مفتوحاً لكافة الأفكار والنظريات والفلسفات لتتدفق بسهولة إلى بقاع كانت بالأمس مجهولة وهذه الأفكار يحتمل أن تكون مخلخلة للفكر الاجتماعي لأي مجتمع إنساني مسالم، وخاصة إذا جاءت عن طريق الإعلام الذي يخاطب الجميع بلا استئذان، فعندئذ يكون العلاج متعسراً لأنّ الداء العضال انتشر بتسرطن سريع وهذا لا يعني أننا ضد التطور أو التقدم العلمي أو العملي الذي يشهده العالم ولسنا ضد التبادل الإعلامي العالمي أو آليات الاتصال الأخرى، ولكن يجب علينا كدول نامية صغيرة أن نوظف تلك الطفرات العلمية في مجال الإعلام لصالحنا، «للصالح العام» وتحويلها إلى ممارسة عملية

حيّة لازدهار وتقدم مجتمعاتنا وأن نضع خططاً مستقبلية واعية بدلاً من العشوائية والتبعية، فلماذا لا نستغلها في طرح قضايانا ومشكلاتنا سواء كانت قومية أو تلك التي تتسم بالخصوصية، خصوصية لكل مجتمع عربي مستقل وايجاد الحلول المناسبة لها، أي نرسم سياسة خاصة، ولنبدأ بسياسة عربية مميزة لكل قطر عربي، تتجاوب مع خصوصيتة ومحليته، وتتناسب مع همومه ومشكلاته وقضاياه الاجتماعية كمشكلة المخدرات مثلاً.

* جريدة الاتحاد ، ١١-٩-١٩٩٧

عصر الاختلال الكبير(*)

إن الإنسان الحالي لا يكترث بأي شيء، دائماً يبحث عما يرضي غروره وصلفه فحتى طعامه لا يعبأ بجدواه وفائدته، يحاول تغييره، تغيير طقوسه ومكوناته وعاداته وأنواعه فالغابة السابقة والأدغال اكتفت بهباتها وعطاياها له، ولم تعد ترفده وتعطيه الغذاء والطعام فاتجه إلى الزراعة واستئناس الحيوان أي دخل عهد التغيير، والتغيير هذا أوجب عليه الدخول في متاهات عديدة، فبعد ترويض الوحش واستئناس الكثير من الحيوانات، وتربية الأنعام، دخل الآن عهد استئناس الكلاب والقطط والثعابين والضفادع والحشرات، فهو يعكف على اختراع وجبات خاصة، تتوفر فيها كافة العناصر الغذائية البانية للجسم، من بروتينات وفيتاميات وكربوهيدرات، فدخل غازياً، مكتشفاً عالم الحيوان بدافع الاكتشاف المقدس.

فبعد اندثار حيوان ((وحيد القرن)) بسبب الإفراط في صيده من أجل قرنه، دخل إنساننا الحالي عوالم الزواحف وما شابه ليبتكر شوربة ثعبان تفيد، والفوائد كثيرة وهذا الثعبان كان يوماً يخوفه ويفر فراراً منه واليوم من أتى به ليكون وجبة سائغة تفيد وتعالج وليت الأمر اقتصر على هذا فقط بل تعداه إلى ولوجه عالم الحشرات حيث الطنين والألوان الفاقعة والمجاهيل المخيفة بحجة أن الحشرات غنية بالبروتين، إذاً شهية لذيذة وقد تكون بداية لعلاجه، فاختراع بعد اختراع أو بالأحرى اختلال بعد اختلال، فالاختلالات تصيب جميع

العوالم الموجودة، فحتى عوالم الحيوان، لم تسلم من نزوات الإنسان المعاصر وهفواته فبعد الاحتلال البيئي، جاء يبيد مملكة الحيوان، بعدما قضى على الصنف الآخر «النبات»، فالغابات المدمرة رئة العالم حاضرة وشاهدة، دخلت طور الانقشاع الجغرافي. والآن جاء الدور على الحيوانات التي لم تنقرض بعد، فالانقراض اللعين طال بعضها بالفعل وسيطول أخرى لاحقاً والسبب الأول هو الإنسان المفعم بطيشه وغروره وتجاربه المستمرة وعنجهيته ومسابقته لحججه الواهية، ليحقق شيئاً ليس بشيء يذكر سوى أنه اختلال كبير يهدد الإنسان، والبيئة المحيطة به.

* جريدة البيان ، ٢٣-٩-١٩٩٧

الزوجة الشرسة...موضة عصرية(*)

إن من يعيش في هذا القرن، يستوقفه العجب الكبير، فالمتغيرات قلبت الحقائق والمسلمات، رأساً على عقب، فالنعومة تحولت إلى خشونة والسلام إلى دمار، فعالم الأضداد ولى وراح، ليأتي عالم آخر لا يعترف بالتناقض والتضاد، بل يعترف بلغة التقلبات في كافة الميادين، فمثلاً: حواء الرقيقة العذبة التي تسحر الألباب وتخلب المهج، برقة أنوثتها وجمالها الفتان وكلماتها المعسولة، تحولت إلى النقيض الصارخ روحاً وجسداً، تحولت إلى شرسة وعنيفة وحتى إلى قاتلة! نعم، قاتلة تقطع الأجساد إرباً إرباً، فموجة الحقد القابعة في مداخل فكرها، جرتها إلى ذبح الرجل من الوريد إلى الوريد والتمثيل بجسده أيمّا تمثيل! جُرأة جديدة، لحواء جديدة غيرت المفاهيم والآراء والأفكار عنها، لتتغير الأنثى الرقيقة إلى أسطورة مفزعة ومتعطشة للدماء، وخاصة دماء الرجال المساكين، فالأحداث والأخبار التي تروى عن قتل الأزواج من قبل زوجاتهم في بعض الدول، جعلت عروش الرجولة تهتز بقوة، وترتعد وتدرك الأنفاس من قبل فوات الأوان، وإلاّ كان الساطور الحاد والأكياس السوداء «الكفن الجديد»، والسكين الحادة والمسدس والمنجل في الانتظار، وساعتئذ لا ينفع الندم ولا الضرب على الخدود! إذاً هذا الزمن لا يعرف المستحيل بل يقصى المستحيل عن شرائع قوانينه الغريبة، فالزوجة وهي الصدر الحنون والأم وهي الودود الرحيمة، أصبحت مسميات قد تكون قديمة بالية، فزوجة

تقتل زوجها وتقطعه قطعة قطعة، فأيّ أنثى هذه؟ وأي قلب جبّار تمتلك؟ نعم، تقتله وتقطعه وترمي بأشلائه في الخرائب تشفّياً وانتقاماً، ناسية في الوقت ذاته، أنه في يوم من الأيام، كانت بينها وبينه مودة حلوة و عشرة، وأيّام جميلة وأبناء أبرياء! نعم، أبناء، ماذا ستقول لهم حينما يسألون أين أبونا المغدور؟ ولماذا قتلتيه؟ فماذا يكون الجواب حينئذٍ؟آ

* جريدة الاتحاد ،١٣-٣-١٩٩٨

الحـريـة المنحـورة(*)

إنّ العقل الإنساني العادي بحالته هذه، لا يستطيع مواكبة ما يجري من ثورات معرفية عظام متقافزة في مجالات العلوم، ومضامير المعرفة الإنسانية فطفرات تتلوها طفرات، والعقل ما زال في سباته، يسأل، يستفسر، يخمن، ليقول: أين وصل العالم الغربي؟؟ أين حل برواكبه الآن؟ فالعربة الفضائية فوق أديم المريخ، تمشط خلاياه، خلية خلية، وترسل المعلومات الجوهرية الجديدة تباعاً.

وهنا ما زلنا كما كنّا، نتكلم عن أزمة الغناء العربي ورحيل العمالقة، وأثر الفيديو كليب على الأغنية، أي محورنا ناصية التفكير في بواعث الترفيه دون سواها، ناسين بل متناسين أن أمماً أخرى ملت من سكنى الأرض، وتفكر في عمارة كواكب أخرى، وممارسة الحرية التي تريدها، فربما تكون حرية فضائية مغايرة لهذه الحرية الموجودة لدينا، فالعالم الأول المتمدن عظيم في طفراته العلمية والمعملية، هذا شيء لا يختلف عليه اثنان، والرأسمالية الجديدة دخلت مرحلة جديدة بعد زوال نقيضها اللدودة الاشتراكية، فالحرية بينهما تتفاوت، تتأرجح، ولكن حرية العلم، ولكن بحدود، وإلاّ سيظهر الاستنساخ المتطرف، ليهدد الإنسان قبل الحيوان إذا اضمحلت الضوابط الأخلاقية.

إذاً، نعم للحرية البنّاءة إن كان لها ضوابط أخلاقيّة نيرة في جميع الميادين، وحتى لا تأتي تخريباً وتدميراً بحجة أنها حرية كمصطلح بدعوى الحرية، فهذا ضرب من العته والجنون الكبير، والمجانين ناقصو أهلية، لذا وجب إيداعهم في مصحات نفسية، وإذا استمرت

لوثاتهم العقلية، وزادت فيجب إدخالهم مستشفيات للمجانين الرسميين، لأن حالتهم العقلية مزمنة خطرة، وهذا الحل الأخير هو العلاج الناجح للأسف، لأناس مارسوا الحرية تخريباً وتمرداً حتى على الطبيعة البشرية والعرف البشري والعرف المعهود والمثاليات وركائز المنطق، فالجميع نمى إلى أسماعه ماذا جرى ويجري في العالم المتمدن شرقه وغربه، أبيضه وأشقره، من خرق صريح للطبيعة الآدمية، بحجة الحرية المطلقة، فمثلاً، الدنماركيون احتفلوا بشيء عظيم باهر، أقاموا حفلاً جماعياً للرجال غير الأسوياء، وظل الكل سعيد فرح لأن الصفاقة تمارس حركياً على المسرح العلمي دون رقيب، صفاقة جريئة تشاهد عياناً على الوجوه الباردة، والملايين من البشر على شاشات التلفاز والمتخلفون «العالم الثالث كما يدعي المتحضرون الغربيون» والهامشيون يشاهدون هذه المهزلة، هذه الحرية المنحورة المتمدنة، والشواذ منتشون يمارسون طقوس الزفاف، فصقيع البرد القارس أوحى لهم أن يزيلوه بحرق الحرية المعطاة لهم، ليحل محل الصقيع انتشاء وحرارة واشتهاء وغرابة.. فأضحت الحرية هناك، لعنة تكبر، تتنامى، فقريبا سوف تشاهد واقفة سامقة في دول أخرى اسكندنافية كانت أو غيرها، لأنها حرية منحورة تتكلم بمنطق الحضارة المادية الصرفة دوماً فهذا الارتكاس الخلقي تفتق من لفظة الحرية المجردة واندثار ضوابطها، وتشرذم الأسوياء والنبلا، ولنا في هذه الحوادث عبرة، ولنا في ديننا الحصن والملاذ الرصين من شرور الأرجاس والأنجاس من قول أو فعل، والله المستعان.

---

* جريدة البيان ،٢٩-٨ -١٩٩٧

الـواقـع وروح المأساة(*)

إن العلم يمر بالعديد من الظروف والأحوال التي تحتم التناغم معها أو معارضتها أو بأخذ العبرة والأسوة منها، فالمرحلة الحالية مرحلة انفتاح وترقب وحذر، لأن المتغيرات سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية كبيرة، فبين ليلة «ليست طويلة» ويوم آخر مشرق نيّر، هوى الدب الروسي و أنتهى وتحول اتحاده إلى هشيم بائد ودويلات مفتتة تتناحر وتتصارع هرباً من أزماتها الاقتصادية والنفسية والعرقية، الأمر الذي أدّى إلى تخلص العالم من مخاطر قيام حرب عالمية أخرى نظراً لاندحار عميد المعسكر الآخر «أي الاتحاد السوفييتي».

إذاً، العالم أضحى حالياً يشيح بوجهه حتى عن الحروب الباردة لتصبح جليداً وصمتاً، وليُبدّلها بجمود صخري غريب في المشاعر والأحاسيس، خاصة إذا ما تحدثنا عن أنفسنا كمسلمين، فماذا فعلنا؟ فالمسلمون في الجمهوريات السوفييتية غارقون في مشكلات عديدة، فماذا فعلنا من أجلهم؟ والمسلمون في البوسنة والهرسك وكشمير وفلسطين ماذا فعلنا لهم؟ في البوسنة الجريح والهرسك الذبيح يدفعون ثمن هذا الصمت المطبق الذي يعيشه المسلمون أمام تلك المتغيرات العالمية، فدماؤهم تراق بلا ثمن أو سبب، وأجسادهم الخضراء مباحة، لأنهم مسلمون؟ والجلادون الصرب، يتحدون اليوم، وأكرر اليوم، بتلاحم وقوة من أجل القضاء على جذوة الإسلام والمسلمين فأولئك يتحدون كاليد الواحدة رغم الاختلافات والفروق،

لماذا؟ ويدمرون الإنسان المسلم في البوسنة والهرسك لماذا؟ ويقوضون الدار والمسجد والعرض، لماذا؟. والحضارة الغربية هناك تشجب الإرهاب والإرهابيين في لبنان وفلسطين وليبيا، إنها مهزلة ما بعدها مهزلة فالأمريكيون والفرنسيون والبريطانيون، أهل تحضر ومدنية ورقي، وبفضلهم يتحقق العدل والحرية لكافة شعوب وأمم الأرض فأولئك يكافحون الإرهاب ويحمون الحريات النبيلة، حتى ولو كان سبيلهم في ذلك، استباحة أرض أو استيلاء على دولة أو تقييد حرية شعب كامل.

فالأمريكيون مثلاً قادوا أشياعهم وأذيالهم لدخول الصومال بحجة محاربة الإرهابيين وإرساء دعائم الديمقراطية والعدالة والاستقرار، وجروا خلفهم أصحاب القبعات الزرقاء، كالإمعات الذين لا يدرون مِنْأمرهم شيئا، بينما هناك سراييفو الجريحة تئن وتستنجد بالمجتمع الدولي فلا من مجيب، ولا أُذن تسمع أو لسان ينطق، وحينئذ تتوالى المهازل والمساخر.

* جريدة البيان ، ١٥-٩-١٩٩٧

وقفة مع السلوكيات الخاطئة(*)

تعددت الأقاويل والأقوال عن الانحرافات السلوكية بصفة عامة بين الكُتّاب وأصحاب الأقلام، وذوي الاختصاص والدراية والعلم، فمنهم من أكثر وأطنب، وعلى نهجه تكاتب وتراكض وتناقض آخرون، حتى أخذت تلك السلوكيات أبعاداً وإشعاعات مختلفة، ولكن، لماذا لا يصيب أولئك كبد الحقيقة البيّنة؟ وهل هي غائبة عن عقولهم وأقلامهم؟ ولماذا لا يطرحون تلك السلوكيات على بسط الحوار البناء والنقاش العلمي المتزن؟ أليس هذا أندى وأجدى بدلاً من الغرق في بحور التشتت والاتزان والحوار العقيم والترديد الأسن والأستاذية المفرطة؟.

فللأسف الذين يتصدون لتحليل وتأويل هذه الظواهر السلوكية يقحمون أنفسهم في أشياء عجيبة ويستلذون بأستاذية خاصة فهم يعرفون الحقائق ويعرفون سبب ذلك الخلل السلوكي الناضح، فهم الأكاديميون النابغون حتى غدا الإنسان العادي حيالهم لا يدري ماذا يفعل، وما الاستفادة التي يجنيها من أولئك الأساطين؟.

فلغة الحوار لا يعرفها كلامٌ كثير ودوران حول نقطة واحدة واصطلاحات عديدة، والأسباب المطروحة تتأرجح بين سبب وآخر والإنسان العادي منا كله آذان صاغية مطيعة، يحاول الفهم،

مجرد محاولة ولسان حاله يقول: خاطبوا الناس على قدر عقولهم، فالمحاضرون والأساتذة وعلماء النفس والتربويّون تكلموا كثيراً ومراراً وتكراراً عن انحراف الأحداث والانحرافات السلوكية، وداروا حولها مرات عدة، وتحدثوا كثيراً عن دور الأسرة، والمدرسة والمجتمع، وأقاويل وتحاليل ودراسات طالت تلك القضايا والمواضيع، ولكن ما النتيجة؟ وما هي المحصلة النهائية؟ مجرد شعارات تُرفع وعبارات تُردد وتوصيات توضع والقضايا والمشكلات الاجتماعية ما زالت غير مطروحة نظرا لحساسيتها المفرطة.

فالانحرافات السلوكية مثلاً، ما زالت جديدة لم تطرق، والجميع يرجع أسبابها إلى الأسرة، وإلى الأبوين، حتى أضحت الأسرة في نظر الكثيرين هي السبب الاول الرئيسي للانحراف ولكن، وبعيداً عن الأهواء والمغالطات وتسهيل الأمور فالأسباب في اعتقادي الشخصي معروفة ولكنها تحتاج إلى لحظات مكاشفة حقيقية، وبعيداً عن حجب الأضواء أو تقنين الظواهر الآن ما هي إلا ثمرة من ثمار مرة ستظهر لاحقاً، والسبب عدم اكتمال منظومة الأسرة الكاملة، فالشرائح الأسرية تظهر فيها العديد من السلوكيات الخاطئة وتحتاج إلى مجالات كبيرة لطرحها وسردها وشرحها، فالعملية ليست هينة بل تحتاج إلى المتخصصين وأهل المعرفة والعلم، فالتربويون قالوا كثيراً، ومن كثرة الكلام يولد الهش والسراب.

ولكن، قبل هؤلاء وأولئك يجب على النفسيين الحقيقيين التقرب أكثر وأكثر إلى الظواهر والسلوكيات الاجتماعية الشاذة، ومعرفة دوافعها والأمور التي أدّت إلى ظهورها، ومحاولة تقديم الحلول الجذرية حتى ولو كانت متأخرة للحد منها إن أمكن، لأن الوضع قد يتأزم في المستقبل إذا ما تُرك الأمر على حاله، وفتح الميدان للمتطفلين وأهل القشور وكفانا عدم اللامبالاة والاستهتار وتهميش الأمور والقضايا الحيوية، ودمتم..

* جريدة البيان ، ١٩-٩-١٩٩٧

البيان ،٢٥-١١-١٩٩٧

صندوق الزواج والمكرمة الطيبة(*)

التقدم المطرد الذي تعيشه دولتنا الناهضة في شتى الميادين، أعطى انطباعا مشرقا وفكرة بهية لدى المقيمين فيها أو القادمين إليها، فالرقعة الخضراء الوارفة تعطي الأرض الطيبة رونقا يخلب الألباب، والماضي السحيق بأوجاعه وأتراحه تحول إلى نعمة راغدة تظلل الرؤوس والنفوس في آن واحد، فبعد الصحراء الجرداء والرمال الحارقة، جاد الله علينا بنعمة النفط لتنقلب الموازين، فالطبيعة غير الطبيعة، والأمس غير اليوم، فهكذا تغيير في تغيير، والفضل يرجع إلى العيون الساهرة على مستقبل البلاد، وعلى رأسها صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، الذي لم يدخر جهدا في إسعاد المواطن على هذه الأرض العطوف، والمشاريع التنموية المقامة تبشر بمستقبل زاخر، والإنماء الاقتصادي شمل الجميع شيباً وشباباً، مواطنين ووافدين، الأمر الذي جعل الجميع يعيش في سعة وهناء ورخاء، فالمواطن على نهج الخير والعطاء سار، والمكرمات المقدمة له تتوالى، والحكومة الرشيدة تمده بكافة الوسائل والإمكانات التي تجعله فرحاً سعيداً، وخاصة الشباب الذين يوليهم صاحب السمو رئيس الدولة _حفظه الله_ كل العناية والرعاية، فالتعليم متاح ومجاني لكافة المستويات وحتى أعلى الدرجات، ولم تقف هذه العناية الفضلى إلى هذه الحد بل امتدت إلى ما بعد التخرج وإتمام مراحل الدراسة والتحصيل العلمي والحصول على الوظيفة، وبناء

الأسرة وتكوين الأجيال الصالحة، فالأسرة لا تقوم إلّا ببناء إنسان قادر مؤهل على تحمل المسؤولية الملقاة على كاهله، فالمسؤوليات الجسام يتحملها رجال، هم أهل اقتدار واستحقاق وفضل وثقة، ومن هذا المنطلق، جاء قرار إنشاء صندوق الزواج، ليساهم بفعالية بناءة في بناء الأسرة الإماراتية الجيدة، ومن ثم الإنسان الصالح المهيأ نفسياً وجسمانياً، وليكون دعماً قوياً وتأكيداً على ذلك الاهتمام الطيب الذي يولي للتيسير على الشباب الجاد.

وتخفيف التكاليف الباهظة والقاسمة وحثه على الزواج، فالتكاليف الباهظة تلك أوجبت التدخل من قبل الحكومة للتيسير على الشباب، حتى يتوفر لهم الجو النفسي المناسب لأنهم عماد الدولة، وأصل بنيانها وقوة ارتكازها.

فهذا المشروع «صندوق الزواج» جاء الآن ملبيا لحاجات الجميع، فالغلاء الفاحش للمهور أدى بالشباب إلى العزوف عن الزواج، والإقدام على الزواج من الأجنبيات، الأمر الذي يؤدي إلى خلخلة البنية المجتمعية لمجتمع الإمارات الصغير وظهور الكثير من الظواهر الاجتماعية المهلكة، فالكيان الديني مهدد واللغوي مهدد، والاجتماعي مهدد، وهناك جانب مهم لم يطرق كثيراً، جانب الفتيات أو بالأحرى المغيبات، فالتقدم في السن وغلاء المهور حدا بالشباب الجاد إلى استقدام زوجات وافدات بدلاً من المواطنات، لتظهر هنا ظاهرة غريبة، ومشكلات قد تظهر في المستقبل القريب وخاصة إذا ما توفرت لها عوامل مثل: التربية المتحررة، وضعف الوازع الديني، فالفتاة التي تتعدى الخامسة والعشرين أو أكثر، وتظل حبيسة

ظروف المهر الكبير والرجل الثري والعرس الأسطوري سوف تظل ناكسة الرأس للحالة التي قد تصل إليها مستقبلاً، وعندئذ ستتحسر على أيام جرت وتجري سريعة فأيام الدراسة انتهت، والعمل يأخذ الآن وقتها بأكلمه، ماذا بقي؟ فلانة تزوجت، وأنجبت، تمارس غريزة الأمومة عملياً، وهي ظلت كما هي!

فالسلبيات تتوالى والمجتمع الواحد يقلد فيه الأول الثاني ، وهكذا،التقليد في كل شيء حتى في تحديد مصائر البشر واختيار الأزواج، وحتى في حفلات وكرنفالات الأعراس تحولت إلى سامبا.

ولكن وعلى الرغم من السلبيات المتواجدة، فالخير العميم موجود بفضل الله، والحكومة الراشدة تحاول دوماً أن تفعل شيئاً.، تساعد به الشباب، لأن الشبان والشابات هم زهور الحياة وأنوار مستقبلها، فالتخفيف عنهم أمر أقرّه الوالد الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان _رحمه الله_ وحث عليه.

فمشروع صندوق الزواج، جاء ليساهم بشكل تام في تقليص أعداد غير المتزوجين والحد من ظاهرة الزوجات الأجنبيات، ومشكلات أخرى عديدة، فبحق كان هذا المشروع عصرياً، ويعتبر آية عرفان تقدم إلى شباب الإمارات، ومكرمة خيرة من قائد مسيرتنا وباني نهضتنا إلى أبنائه وبناته، فمرحباً بالقائد الغالي الجليل، ودمتم يا صاحب السمو يداً بيضاء خالدة تقدم السلام والأمن والخير لهذه الدولة وأهلها.

---

* جريدة الاتحاد ، ١٤-١١-١٩٩٧

عصـر الاتصـالات(*)

اختلفت العصور ونعوتها، فالعصر الحجري راح، ليأتي الحديدي والنحاسي والبرونزي وهكذا، فبعد الحديد الصلد الخشن الذي صنع منه الرمح والسكين، جاءت رقائق ذكية تنافس الإنسان العصري ذكاءً ومراساً، ولندخل عالماً جديداً يسمى «عصر المعلومات» فالعصر المعلوماتي الآن يغزو البيوت بواسطة سلك مفرد موصول بها، والمحمل بالبيانات الرقمية الخاصة بأهل المنزل، فالتوقع في مجال تكنولوجيا الاتصالات أصبح شيئاً وواقعاً ملموساً، فالعصر الحالي بطفراته العلمية، يقدم يومياً شيئاً مبتكراً ومبتدعاً،(فالكسندر جراهام بل) عندما اخترع التليفون وما صاحبه من تطورات، عد من الغرائب في زمن ولكن الإنسان هو الإنسان أينما كان، يرفض اليوم أمراً ويقبله غداً، فالمؤثرات والمتغيرات أحياناً لا يستطيع مقاومتها (فجراهام بل) جاء بأسلاك وجعلها تنطق حضارة ومدنية ورقياً وسخرها في خدمة الإنسان ليرتقي بإنسانيته مدنياً لا عضوياً، وفتح آفاق التطور كبيرة للعالم الإنساني لكي يتواصل عبر أسلاك نحاسية خرساء، فأخذ ربعاً من العصر النحاسي نحاسه، ومن العصر البرونزي برونزه، ليتكلم ويتحدث ويشرح فالنحاس في زمن المادة يتكلم اللغة العربية أو الأعجمية، حسب لغة المتكلمين، والآن جاء دور الألياف البصرية

التي تنقل أغلب المكالمات بعيدة المسافات عبرها، تطورات أسطورية تتحقق عبر تكنولوجيا الاتصالات، وأمام هذا التطور المهول ما زال البعض، يراوح في مكانه، ينتظر طوفان الصحوة، وما زال يغرد على ليلاه البعيدة، ولا يعرف من (الاتصالات) إلا هاتفاً خليوياً وهاتفاً عادياً و (فاكساً).

جئنا من بوابة عصر تكنولوجيا الاتصالات والتقانة المعلوماتية بعد الإنترنت، لنغرد على غصن الرقم الجميل، ويفضل لو يكون مكرراً، ليعرف صاحبه بواسطته فعشاق الجمال وفلسفته يتهافتون زمراً إلى (اتصالات) ويلاحقون المدير الفلاني والمسؤول العلاني لينقش أحدهما على طلبه بالتوقيع رقماً جميلاً بالإنجليزية.

وعليه، إذا كانت (الاتصالات) هي المستقبل كما تقول، فيجب عليها القضاء على هذه الظواهر السلبية بأنسب السبل وأيسرها، وإذا كان المشترك دوماً على حق (شعار المؤسسة)، فيفضل أن يسمح لأي مشترك الحصول عل أي رقم يريده، أو يكون المانح أعمى وأخرس، يهب الرقم عشوائيا لمن يشاء دون سابق معرفة، وأعني به جهاز (الحاسوب) وبهذا يكون المشتركون سواسية أمام منصة الرقم، وأرجو أن تفسح (الاتصالات) صدرها لاقتراحي المتواضع، لأنّ المشتركين دوماً على حق، وأنا أحدهم، ودمتم .

---

* جريدة الاتحاد ،١٤-١١-١٩٩٧

السينما الغربية تشوه العرب لحساب اليهود(*)

الجميع يحارب من أجل قضية ما، أو فلسفة ما، أو فكرة ما، فاليهود الرأسماليون يحاولون غزو ومحاربة المجتمع الإسلامي العربي لكي يتشبع بالفكر التلمودي، بأفكاره وآرائه، وبنوده وركائزه، إفشاء الموبقات وإحياء الرذيلة وإنماء الربا، ولأجل هذا الفكر قامت جميع المؤسسات والقطاعات والفعاليات بتعدد توجهاتها في البلدان الغربية والصديقة تسترضي هذا الفكر المنبعث من التلمود الكبير، فالقدح والطعن والسخرية من المجتمعات الإسلامية العربية في مقدمة الخطط والتعليمات، لذا لم يكن عجيباً ولا مستهجناً أن نرى وسائل الإعلام الغربية وعلى قمتها السينما تحاول الإساءة المتعمدة للمسلمين والعرب، وبث الأيديولوجية الصهيونية في كل شبر في العالم، فالسينما الحالية غدت أداة طيعة لدى سماسرة الفكر الرخيص والفن الرخيص.. فنظرة التخلف والإرهاب والبربرية، ترسم صفات للمسلم العربي، ويحاول الملاحدة الصهاينة ترسيخ هذه الفكرة الرعناء بأية طريقة كانت. فالأفلام المعروضة في بلاد العرب ترسم صورة حقيرة، فالقتل والسفك والسلب والاغتصاب، صفات تجتمع في المسلم الجائع العطش لتلك الصفات، وعلى الضفة الأخرى، نرى الإعلام الإسلامي العربي كسيح زمان، وغير قادر على مسايرة تسامق موجات السينما

الغربية العدوانية، فالإسلام يحارب، والهوية تحارب، واللغة العربية تحارب.

السينما الغربية عالم قائم بحاله يحارب، يسمم العقول بكل ضراوة، يخاطب عقول الجميع، الطفل، والشباب المراهق، والرجل الشيخ، فمن أفلام الكرتون إلى أفلام العنف والمطاردة والإثارة نستشف رموزاً خفيّة تتحرك، تقول شيئاً، وتبطن أشياء خطيرة لها مجاهيل وإشاعات ذات دلالة، ففي كل نقطة فيلمية معروضة نرى نعرة عنصرية ما ،دعوة تلمودية ما، فالسينما الغربية، تُراضي اليهود والصهاينة، والدليل هذا الفكر المجتاح في كل خلية من خلايا السينما، فالسينما هناك تقاتلك، تتحداك، تعرض قضية ما، ولكن أين السينما العربية؟ أما زالت تترنح على ترنيمة أزمة السينما؟ فالنقاد السينمائيون عندنا يقولون أن السينما في أزمة طاحنة والأسباب عديدة منها: ضعف التمويل، وارتفاع الأجور ورداءة النصوص والقصص وقلة دور العرض وأفلام الفقعات والموضة، وجهل وجشع المنتجين، وعدم خبرتهم بالسينما كصناعة راقية لها طقوس معينة ومميزة، فالجميع يحيا عصر الإحباط الكبير، وحتى أنه أصاب السينما، أو بالأحرى عصر الانحطاط، فالانحطاط طال السينما من جميع جهاتها وفروعها، لذا نراها ناكسة رأسها أمام غيلان السينما الغربية المخطط لها، والتي تنهش في جسد مجتمعاتنا النامية وتنفث الفكر التلمودي اليهودي فيها باستشراء فظيع، والدلائل كثيرة والأفلام شتى، والاستشهاد بها قد يلفت النظر ويعطي الموضوع الحساس أهميته.

*فيلم «العين بالعين» يتحدث عن عنصرية معروفة لدى اليهودي، فقصة الفيلم تروي لنا أن يهودياً مرابياً محتالاً أراد الاستيلاء على تعويض من شركة الضمان بأقصر الطرق، أي القتل ومن ثم الحرق، والأحداث تتوالى، ولكن.. من الضحية؟

*فيلم «ليس تماما القدس» يظهر الفيلم ثلة من المتطوعين والأوروبيين والأمريكيين كشهود عيان على جرائم وممارسات العرب الإرهابية، ومحاولتهم نسف السلام بتلك العمليات التي تشكل خطراً على الأبرياء، وهم اليهود!فهذه الأفلام الهدامة، مع غيرها تمول من قبل الشركات الإسرائيلية وتعرض في مهرجان سينمائي خاص يسمى مهرجان القدس، فالمتابعون لحركة السينما الغربية، يلاحظون بجلاء النواة الإسرائيلية التلمودية المشعة التي تظهر كم الضغائن والأحقاد التي تعتمل في قلوب الصهاينة الملاحدة، وكرههم لكل ما هو إسلامي وعربي، ولهذا فالأفلام تنتج، والقصص الرخيصة تؤلف، والملايين الملوثة تدفع، والمؤسسات الإسلامية العربية مازالت هاجعة ترقب صفعة الحقيقة، ولسعة الوداع والختام، ودمتم.

---

* جريدة البيان ،١٠-١١-١٩٩٧

ثقافة الاستهلاك عمادها المال وضحيتها البشر(*)

لما استسهل الإنسان الطيران حاول تقليد الطير، وعندما استسهل العلم أرجع الإنسان المكرم قرداً شعرانياً بحجة التطور والارتقاء.

أمثلة يعرفها الجميع، ويرددها المتثاقفون في عجالة العجالة، وبلكنة عجيبة، والعجب في أيامنا أعاجيب، حتى أنه طال الثقافة، فالثقافة الجديدة اليوم تردفها كلمة الاستهلاك، فالاستهلاكيون الجدد غيروا مجرى التاريخ بأشياء آدمية فاقعة، ومنهم الشعراء والأدباء والمفكرون والرسامون العظماء، هؤلاء رحلوا الآن، ماتوا، ومازالت قبورهم تزار، ومراقدهم تقصد من قبل الجموع العاشقة اللاهثة، بالعبرات الحارة حسرة وحزناً وكمداً، ومتعلقاتهم الشخصية مثل السيجار الكوبي الفاخر والعصا المعقوفة الشبيهة بعصا شارلي شابلن، تباع بآلاف الدولارات، والمحصلة النهائية تمجيد في تمجيد !

فهؤلاء هم مثقفو الاستهلاك أو بالأحرى محبو الاستهلاك الذين يرفعون شأن من يريدون في كل منتدى ومحفل، ولهذا كان (فان خوخ) رساماً مبدعاً، ولوحاته تشترى بالملايين، رغم أن أذنه المهداة إلى حبيبته، لا تشترى بدولار واحد! وروحه المنتحرة لا تشترى، كذلك بجيلدر هولندي واحد، وكان سلفادور دالي مهووساً بالإبداع إلى درجة أن الطفيليين وصيادي المنافع «المصائب» يزورون توقيعه

على لوحات ليجنوا من ورائها الملايين، فمجرد توقيع مزور، جلب المال الكثير، فهكذا هم عشاق ثقافة الاستهلاك لا يرضون بالقليل، بل يتمتعون بعذابات النفس العليلة، وشطحات الأنا المتضخمة والبارانويا الفكرية وهمهمات الإبداع المتطرفة وعلى الرف الآخر المظلم من تاريخ الإنسان، ظهر مبدعون آخرون ليسوا رسامين كباراً يلطخون اللوحات إبداعاً سوريالياً أو تكعيبياً، بل شعراء إنسانيون ماتوا في منفى الذاكرة الإنسانية الخالدة، لم يعرفهم مثقفو الاستهلاك بعد، نفوا من الذاكرة القاحلة، وحالياً يفترشون أتربة التجاهل المر لأنهم ليسوا عباقرة ولا مبدعين ولا أساطين ولا شقر الشعور ولا زرق العيون، بل أرباب كلمة شاعرة متمردة، كلمة صغيرة دوخت عوالم الفكر والجمود، ومازالت تدوخ المتذوق الصبور لهفة ولوعة وحلاوة واستعذاباً، رحلوا جميعاً مع أوصابهم الجسدية فقراء دون همسة ولا أنّة، فهكذا رحل بدر شاكر السيّاب شاعراً طريداً لا يعرف القرار، وأخيراً قتله السل والمرض، وبجسده الهزيل قاوم وقال شعراً وبلسماً، ومازال يصدح، ومازال العالم الاستهلاكي يجهله ويحتقره، وظلت قريته الصغيرة جيكور تنوح عليه ساعات الغياب، وهكذا رحل أمل دنقل غريباً، ولم يبق منه إلا سهرة الآهات الأصيلة، والوجع البارد، وصيحات المارة، رحل مثقلاً بأشياء وأشياء، وهكذا رحل ميخائيل نعيمة شائخاً مهجوراً، وكُتبه وأشعاره مغبرة ومتروكة في العراء البارد، وتجاعيده البارزة تلعن الحاضر القاسي وفي قراره النازف يسأل عن رفاقه المحاربين القدامى في المهجر أين هم؟ فكل من جاء من بلاد

الضباب والاتيكيت كان مبدعاً ألمعياً إلا نعيمه، والآن مات بسلام ولم تنح عليه حمامة الدوح، ولم تدمع أية عين شرقية عليه، حتى ولو كانت عيناً ثقافية استهلاكية تأخذ مالاً بدل دمعاتها المسكوبة، رحل نعيمة ونظارته العتيقة، مازالت هرمة لا يشتريها أحد، وهكذا رحل الجواهري، وكوفيته القوقازية لا يشتريها أحد! قل المشترون في الشرق المجيد ومات المبدعون؟ ولكن، بعد كل هذا، تحتضر النخلة والأرزة، والجميزة واقفة باسقة، ومياه أنهر الفرات والنيل والليطاني العذبة تجري في بواطن الأرضين والصحارى، تبحث عن عشبة الإبداع لترويها الخلود رغم التجاهل والنكران والهجران وختاماً: هذه دعوة مفتوحة للحوار للجميع في صفحة (مساحة للرأي).

* جريدة الاتحاد، ٢٠-١١-١٩٩٧

وقفة مع اللهجة العامية(*)

إن الحكاية أو اللهجة الإماراتية العامية تحيي الأمل البائت في الصدور بسبب ما تحوى هذه اللهجة من ألفاظ ومفردات وأفعال وتراكيب لغوية فصيحة، ودارجة على ألسن الأفراد والعامة، فهذه العامية انتعشت وتنامت وطفقت تتعاظم وتتمادى في إضرام نار سيطرتها على المجتمع الذي رضخ لها بكل سلاسة، فأصبحت بذلك سائدة.

هذا المجتمع الاماراتي الذي لا تنفصم عراه عن مثيله من المحتمعات العربية بلهجاتها المحكية التي تزخر بكثير من وجوه الفصيح وأركانه المؤسسة، فكما هو معهود أن اللغة العربية تعاني من الازدواجية، لأن لها لغتين لغة كتابة (الفصحى) ولغة تحادث (العامية) . فهذه الازدواجية اللغوية تخلق فجوة تباعد بين الاثنتين، وسنة بعد أخرى نرى التباعد بينهما يتكبر فجوته، الأمر الذي قد يؤدي إلى انحدار الفصحى، وانتصار العامية، لهذا السبب المهم والمقلق يحاول اللغويون من خلال قوانين التطور اللغوي إيجاد التناغم والتقارب الممكن بين اللهجة المحكية التي تعاظمت وتبحرت في اجتياحها بين العامية وبين اللغة الفصحى التي أصبحت لغة كتابة فقط، رغم الانتشار الإعلامي والتعليمي ووجود الكتب المتناولة فما زالت اللغة الفصحى تحبو مضمار العلوم بمختلف التخصصات وزاد حالها علة وسقما، إن البعض يحاول نفيها عن دوحة الشعر وروضة

النثر، ولكن من قبل هذا البعض المجدد، كان هناك آخرون حاولوا أن تكون عاميتهم لغة كتابة في كافة ضروب الأدب، ومنهم توفيق الحكيم ومحمود تيمور في أدب القصة والرواية، وكذلك سعيد عقل، وأنسى الحاج و أدونيس وإلياس الخال فهؤلاء حاولوا تقويض اللغة الفصحى وهدم كيانها حسب أحلامهم العليلة، وهم بهذا يريدون زعزعة بناء اللغة، والهيكل العام لها، شعوبية غريبة المرامي تنمي روح العداء السافر، المتمثلة في لغتهم الشعرية المغايرة للمألوف، وأغلب الشعراء، شعراء الحداثة، ينتهج هذا المنهج الغريب، هذه المحاولات الفاشلة تريد نفي الفصحى عن المعترك الواقعي. لأن أرباب تلك المحاولات التجريبية يريدون أن ترتكس وتنتكس رايات الفصحى أمام العامية، فليست المسألة هنا فصحى أو عامية أو تفضيل هذه على تلك بل هناك أغراض مشبوهة مضلة لها طابع العداء المبطن المتربص بهذه اللغة الأم. لذلك لم يكن عجيبا أن نرى اللغة الفصحى تحارب باستماته كبيرة بهدف التجديد والتطوير وانتكاس عصبي غريب لا طائل له سوى التفاخر بالقطرية، أو باللهجة المحلية الطاغية، أو هناك أهداف خافية متلونة لا يعرف مرمى طويتها، يقول لويس عوض لأحد الشعراء المغمورين آنئذ: (أنا مش راضي عنك حتى تكتب شعرك بالعامية)، أو (مالك ومال الفصحى فإنها ثقيلة عليك في الشعر وعلينا).

هذه محاولة من المحاولات التي كانت تهدف إلى تقويض بيت اللغة الأم، لذا وجب على جيلنا الحالي المحافظة على هذه اللغة

والدفاع عنها ضد التيارات التجديدية والتطويرية التي تهدف الى تصحير اللغة وزعزعة أركانها بهدف التجديد العصري، نعم، نحن مع التحديث والتجديد والحداثة الحقة، ولكن لا يتعدى هذا التجديد بالشكل الشعري إلى استبدال لغتنا الفصحى الى عامية قطرية، فالجميع مع الحداثة الشعرية اللغوية ولكن أن تنغمس في تصحي اللغة الفصحى بهدف رغبات مدسوسة فهذا فعل إنساني شائن. وللحديث صلة.

* جريدة البيان ، ١٥-٥ - ١٩٩٨

الإعلام العصري.. سلاح الموضة(*)

أصبح الإعلام العصري، سلاحاً مهماً يستعمله الصانعون وأرباب التسويق، فمثلاً، الصناعة الناجحة تعتمد كلياً على التسويق الإعلامي كعنصر فعال لجذب المشترين، فالمسوِّقون المهرة لا تقوم لهم قائمة تذكر إلاّ بالدعاية والإعلان، أو بالأصح صناعة الدعاية والإعلان، التي أخذت مناح عديدة، تتدخل فيها فنون جديدة وتقنيات حديثة لتفرض نوعاً من الإبهار والتأثير على الجمهور والمتلقين.

فقديماً، كانت القصيدة المرددة لها الحضور القوي، فهي ترتفع مع قوة إبهاراتها اللّفظية أو الصوتية أو غير ذلك، فاللفظ كان، ولا يزال، له مفعول السحر في النفوس، فصاحب الخمر كادت بضاعته تكسد لولا شاعر أتحفه بأبيات شعرية روجت بضاعته:

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعبد وتأسيساً على ذلك، أصبح الإعلان له أعظم الأثر في إيجاد قاعدة شرائية عالية، فأهل الصناعة ومعهم المسوِّقون يتفننون في ابتكار الدعايات المبهرة، عن العطور والمشروبات والأطعمة، حتى الأزياء كلها ترتكز على الإعلان المدروس الجذاب، وخاصة في مجال الأزياء، والموضة المتجددة، فالمصممون انتهجوا نهجا واحدا أساسيا، البحث عن المرأة الجميلة الحسناء والفرعاء والبيضاء والشقراء وذات القوام اللدن والوجه الصبوح، توليفة خاصة جدا تنتقى بعناية.

فأعرق دور الأزياء العالمية تتهافت على العارضة الجميلة المشهورة، فظهرت الألمانية الشقراء كلوديا شيفر، والأميركية الفرعاء سيندي كراوفورد، وانهالت الملايين عليهما.

مقايضة عجيبة، الملايين الخضراء تدفع مقابل عقد احتكاري يُلْزم العارضة بأن تكون قواما ماديا متحركا تحت تصرف المصمم، تمشي بأمره، تلبس بأمره، وتأتي بأمره، فالعارضة تلبس الزي إثر الزي لتمشي مختالة أمام الناظرين والناظرات، والأفواه فواغر والأعين الجامدة تبحث عن الجمال وتلاحق العيوب، وتتعرف على طريقة عمل الزي ومصممه، ومادته، ولونه.

دعاية جديدة مبتكرة والثمن يدفع، والمحصل المسوق، يجني الملايين وأهل الدعاية والاعلان يجنون الملايين أيضا نظرا لحنكة المعلنين، وسذاجة العارضات والمشترين، فالعملية الإعلانية تحقق أرباحاً في جانب، وخسائر معنويّة ونفسية في جوانب أخرى لا تحصى، والمهم أن التسويق كعلم وذوق وفن انحدر ليخاطب أشياء شتى لا نعرفها، وهو بهذا يحقق الغاية والهدف والمراد انطلاقا من مقولة ميكيافللي «الغاية تبرر الوسيلة»، ولكن ليست وسيلة واحدة بل وسائل عديدة متفرقة وهي تحقق غايات عديدة متفرعة، وكلها تحتاج إلى شرح وإسهاب طويلين، والتقنين والاقتصار أفضل، ودمتم.

---

* مجلة الشباب والرياضة: ١٩٩٧/١١/٢٥

وقفة مع الصلف الغربي(*)

يمتلئ القاموس العالمي بمصطلحات ومفاهيم لغوية وفكرية حداثية تبين مدى الإسفاف الغربي والغرور المتعالى والصلف المستشرى فيه رغم السنوات الطويلة التي قطعها بحثاً عن إكسير ديمومي للحضارة والتّطور، فالغرب عندما يتقافز في مضمار التطور المادّي فإنه يعقبه بتطور آخر في مجال الطفرات اللغوية النفسية والمسميات الباردة الفاقعة التي تشع بالعنجهيّة والتعالي والاستهزاء الذي يتمتع به الغربيون.

مسميات غربية تحمل طبائع فلسفية مريضة، فالتخلف كمفهوم عالمي إقليمي مثلاً من وحي أخيلتهم الشيطانية.

فالعالم الثالث عندهم غارق في التخلف المظلم والمسلمون والعرب متخلفون لأنهم يرزحون تحت وابل من التأخر المطرد والتقهقر الريادي وينساقون وراء رتوش حضارية زائفة وكماليات مبهرة لا تخلق أركان حضارة مثلى لها صيت باهر لدى العالم الغربي الذي يتمتع بها كل التمتع السافر.

رنة غربية لها تأويلات عدة وتفاسير مبهمة الشروح تطوح الرصانة العقلية في جب الخيبة والارتكاس المحبط. والسؤال البازغ هنا. متى كان الاقتصاد وحده هو الفيصل في الحكم الدامغ على الشعوب والأمم من حيث نعتها بأنها متخلفة أو متقدمة؟ فالتقدم التكنولوجي مثلا لا يسمى حضارة أو تقدمية، بحيث يرفع صاحبه

الى مراتب عليا ويتوج عميدا على العالم ويعطى له الصلاحية الكاملة في نعته للآخرين بأنهم متخلفون ومتأخرون، ولكن هل صحيح هذا القول؟ طبعا هراء، لأن الحضارة الحقة عندما تقاس لا تقاس برفاهية الشعوب المادية وانغماسها في ملذات الأبهة المادية ونعت الاخرين بالتخلف.

إذاً، هل نحن متخلفون حقا؟ أم أن النظرة القاصرة الكليلة لا ترى مجاميع الوضع جيدا؟ فأمة مثل أمتنا الرائدة حققت للعالم مدارج مستقبلية للتطور المضمون وفتقت براعم غضة حضارية لهؤلاء الغربيين الذين أتوا لاهثين خلف العلم الأصيل والتحضر، والتاريخ شاهد بأسفاره الحية ويعطي البراهين الناصعة التي لا تدع مجالا للشك أو الارتياب، فجحافل العلم والاستشراق تغزو وغزت المدن العربية الاسلامية بحثا عن بلسم يروي الظمأ الحارق في أكباد الغربيين «ظمأ للعلوم والمدنية»، فهكذا كانوا أقزاما صغارا يجرون وراء الركاب الحضارية، ولكن الزمن تغيرت شخوصه ورجالاته وشرع اليأس يغزل خيوطه على قمة رؤوس العرب والمسلمين بانتشار مريض وإغفاءة عجلى.

هؤلاء تركوا الأمل وأخذوا ينهمرون إلى قماقم الإحباط ليدسوا أجسادهم وعقولهم المتبعة فيها، لأنهم يشاهدون قوافل الحضارة تتركهم كأعجاز نخل يابسة، وهي تتسارع نحو الذروة الاقتصادية، والفورة التكنولوجية التي يعيش في كنفها الغربيون الآن، فيدب فيهم الإحباط المتلازم، ويزيد الطين بلة ما يشاهدون من هلوسات بعض

الكتاب والمفكرين الذين يبذرون أشواكا فكرية مجدورة، وتلميحات مثبطة تدخل الملل في القلوب والخيبة في النفوس الجامدة، ولكن هل يطول هذا الستار الذي يعمم الأعين رغماً عنها؟ لأن تباشير الأعوام الآتية ستقلب الأمور والمفاهيم ودولاً ومعتقدات على أعقابها.

وها هي الشيوعية تأفل والاتحاد السوفييتي ممثلها العظيم ترك الميدان خالياً حاسراً لزعيم آخر ألا وهو الولايات المتحدة الأمريكية لتكون وحيدة فريدة في المعترك العالمي.

إذاً، أضحى الغرب سيداً على العالم وأضحى الغربيون ملوكاً وأسياداً جدداً على هذا العالم الجديد، إنه مخاض مفهوم حديث ينحدر من طود مهزلة من المهازل المستحدثة، فالغربيون متحضرون، وهم زعماء وحيدون، والولايات المتحدة الأمريكية زعيمة التحضر والسيادة الدولية الحالية، ولكن ما هو مفهوم الحضارة؟ وما هي أهم أركان الحضارة؟ أوليست العدالة هي أهم أسسها وأنظمتها؟ هذه العدالة المسكينة التي طمسها التحضر والغربيون وعلى رأسهم الولايات المتحدة.

هذه الدول التي وقفت تتفرج بكل إعجاب وسادية لمأساة المسلمين في البوسنة والهرسك، هذه المأساة الشنيعة التي خلقت لنا صورة دموية قانية، بينت شراسة الصرب واللامبالاة الصفراء التي يتذهب بها الغربيون الأمجاد!

---

* جريدة البيان ، ٢٥- ١١ - ١٩٩٧

وقفـة مع مفهوم التخلف(*)

تكملة لما سبق طرحه نقول: أطفال وشيوخ وعجـــزة مسلمـــون يقتلـــون بضراوة ووحشية بلا رأفة ولا هوادة، لماذا؟ لأنهم مسلمون حنفاء فقط، لهذا لن يتدخل الغرب ولا حلف ناتو ولا الولايات المتحدة الأمريكية لتعيد هذه الزعيمة العدالة الإنسانية المفقودة والكرامة المهدورة لهؤلاء المسلمين الشجعان الصامدين الصابرين، وهناك في الجهة الأخرى تئن بقاع عربية بسبب ما تقوم به إسرائيل الارهابية من إبادة لكرامة الإنسان وتشويه العدالة.

هذه العدالة العالمية التي تشطرها تشطيرا وتغيبها باستمرار في السجون وفي المواقف الدموية، لكي يحلو لها الاعتداء المستمر على الأبرياء الفلسطينيين، وأن ترتكب الجرائم في حق الإنسانية، ولا تكتفي بهذا الحد الدموي، بل تتعداه إلى أرض عربية أخرى مجاورة «جنوب لبنان»، لتلحق الدمار المتسارع بتلك الدولة الصغيرة بحجة مكافحة الإرهاب والإرهابيين، أينما كان مصدره ومصدرهم، فهذه اللعنة المسماة إسرائيل تعشق رائحة الدم وصور الدماء، والغرب المتقدم الحضاري أمام هذا التصرف الأهوج ساكت أخرس، كتمثال صوان لا ينطق أبدا، بل يغير باستمرار، حتى يتبلد شعوره وليدخل بعده عوالم المشاهد الدموية بكل لذائذها ولذاتها، موقف لا إنساني يبين لنا بجلاء مدى التخلف الحقيقي الذي يحياه الغربيون، فالحضارة التقدمية يا سادتي، احترام وكرامة وتراحم وإفادة وعدالة ومدنية

وإعمار، وحق ورفعة وكبرياء وليست همجية وظلم واعتداء وإبادة وقهر ودحر واستعمار ووصاية وجبروت، ولا اختلاق المعاذير الجوفاء، ومهاجمة الأمم بمصطلحات واهية تكتنف رؤى استعمارية فجة، وتعاليات ممزوجة بالغباء اللفظي، والغرور الغربي، فالاعتداء اللفظي السافر على الشعوب والأمم لم يقف عند هذا الحد بل تشعب إلى اعتداءات أخرى، مثل الاعتداء العسكري والاجتياح الطاغي بهدف تحقيق وتوطيد وترسيخ العدالة العالمية ونفي الإرهاب عن خلايا الفكر العالمي، هذا ما يزعمه الغرب المتمدن، ولأجل البرهنة على صدق شعاره الطنان، شرع الأمريكيون بمهاجمة دولة بنما الصغيرة بحجة أن رئيسها المتوج على كرسي الرئاسة مروج للسموم البيضاء، وإرهابي سليط اللسان، ولذا وجب اعتقاله من هناك والإتيان به إلى المحكمة الأمريكية العادلة، ليحاكم كفرد عادي تحت مظلة العدالة الأمريكية المتحضرة المشهورة بنزاهة محلفيها ورجالات القضاء فيها.

أتى بالرئيس البنمي نورييجا من بلده المجتاح ليسجن في بؤرة العدالة – الولايات المتحدة الأمريكية – لمدة أربعين عاماً فقط، فهذا مثل طيب من أمثلة الحضارة والتقدمية، وبعد هذه الحادثة، جاء المستقبل ليضرب تلك العدالة الامريكية المزعومة بصاعقة قاصمة هزته هزا وجعلت الرأي الامريكي والعالمي يتخبط ويترنح في غيبوبة الهذيان والبعثرة، بعدما برأت المحكمة الأمريكية رجال إلا أن البيض من تهمة الاعتداء «الاعتداء بالضرب» على حرية شخص زنجي أسود وإهدار كرامته، العدالة الأمريكية تبرىء، والقرائن تدين إدانة أكيدة،

لهذا انبرى الرأي العام الأمريكي يضخم الواقعة بخاصة واقعة الحكم الصادر، لأن الحكم جاء جائرا ومنافيا لأبسط الحقوق، ولم يقف الحدث عند هذا الحد بل تمادى إلى حدود غير معقولة، فحل الصخب الجامح في أرجاء مدينة لوس أنجلوس وعم سواد الفوضى أروقة المدينة الراقية، وشرع الملونون والمهاجرون والأمريكيون يدمرون كل الأشياء التي بنتها الحضارة والمدنية، ويفتحون لبركان الغضب أبوابا واسعة لتصب حممها المسعورة على كل الوجوه القزحية السوداء والحمراء والخضراء، بكثافة ما عدا البيضاء لأنها سيدة الموقف!.

فأين العدالة الحقة هنا؟ وأين التحضر والتقدمية؟ والأمثلة المشابهة كثيرة، ولكن المهم هنا، أين الحضارة في تلك التصرفات والمواقف والأعمال التي لها وجوه شتى ولهجات عدة؟.

شعب آمن يباد ويذبح جهاراً نهاراً، وشخص حر يقاد وتهتك حريته الشخصية ليحاكم بحجة الإرهاب أمام محكمة متحضرة غربية، ثم يأتي الغربيون بعد هذه المشاهد الدرامية المتعددة المتناقضة مع شعاراتهم ليتقولوا البدع والتفاهات ويدّعونأنهم متحضرون وأهل فكر، وأنتم أيها العرب والمسلمون والعالم الثالث متخلفون حقيقيون!!

* جريدة البيان ، ٢٨- ١١ - ١٩٩٧

الأيادي البيضاء في محنة كوسوفو(*)

إن محنة أهل كوسوفو أظهرت أن أوروبا المتحضرة، ما زالت متقمصة نهج الحروب الصليبية الغابرة، وهي مازالت تغسل وجهها ليل نهار، حتى لا يظهر الخافي القبيح، فالحضارة والمدنية التي تتقولها، ما هي إلا أوراق صفراء تذبل وتموت عند مكاشفتها لوقائع الحقيقة والتجربة، والمتمسحون بأسمال المدنية العشرينية يتهافتون على بلاد الغرب وبلاد الضباب ليتعلموا العصرنة واليوم ينقشع الوجه المقنع، وتظهر الحقيقة واضحة، فأهل كوسوفو ينحرون بهذه الشعارات، فلا مدنية ولا عصرنة بل رجعة إلى الوراء، إلى الغابة، والهدر من قيمة الإنسان.

هذا الانسان المكرم عند رب السماء - سبحانه وتعالى - والذي يقتل الآن ويشرد أطفاله، والعالم المتفرنج ساكت صامت، والآخر يهدد وبتوعد، وبعد هذا يقصف ويضرب، وها هي اليوم القوافل البشرية تشرد من ديارها، وعيونهم تبكي على الدار والجار، شردوا لأنهم مسلمون فقراء الى الله _سبحانه وتعالى_ وأمام هذا الصمت البارد، تظهر رايات العون والأخوة والأيادي البيضاء، فقوافل الخير والمدد، تنبلج من هذه الأرض الطيبة بأمر من قائد المسيرة الاتحادية المظفة، صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان لآل نهيان الذي حث على النجدة وتقديم العون لهذه النفوس الإنسانية المسلمة المروعة والمشردة، فأهل كوسوفو لم يعرفوا دولة الإمارات إلا في وقت

النصرة والمساندة، فأبناء الإمارات، وأعني بهم أفراد القوات المسلحة والخيرين، قدموا العون لإخوانهم المشردين من أهل كوسوفو العزل، والجمعيات الخيرية كذلك شرعت تساعد بكل إمكاناتها أخوة الدين، فصاحب السمو رئيس الدولة علم شعب الإمارات التضحية والعطاء والمساعدة في ظروف صعبة قاهرة، يحتاج فيها الأخ إلى أخيه.

فالإماراتيون البواسل أقاموا جسرا طويلا من المساعدات لإخوانهم في كوسوفو، واسم مطار الشيخ زايد في كوكيس محط الأنظار والإعجاب، فالخير عند الأخيار عادة دائمة، والإمارات وأهلها إلى الخير في سباق لا ينتهي، فأدام الله صاحب السمو رئيس الدولة وجعله للخير العميم إماما.

* جريدة الاتحاد ، ٢- ٧ - ١٩٩٩

الغــربة وعــالم التغيير(*)

غريب، وغربة الإنسان حائرة. فالغربة الحارقة تخلق لأصحابها المظفرين نوعا من التأقلم الميسر، لمخاوف قد تظهر لها في المستقبل، وربما تهدد حياتها، لذا تنتهج لعبة التغيير.

هذه اللعبة دخلت عالم الانسان من منظور جديد مخترع، وخاصة إذا ولجنا عالم الخدم والخادمات، فالعالم كبير بمتناقضاته وغرائبه وآفاته، فأول باب العالم تصدفك الحاجة، نعم الحاجة، وهي أم الاختراع، فالحاجة هذه خلقت لنا عالما كبيرا يزخر بكثير من السلوكيات والتصرفات والمشكلات التي تميز بعض البيوت المحظوظة، فالحاجةتلك ولدت حاجات عديدة، فالمرأة/ الزوجة لدينا لا تخدم ولا تعمل في منزلها، فهي تحتاج الى مساعدة تساعدها باستمرار فاتجهنا لأجلها إلى الدول المصدرة للخادمات، فجاءت لتصبح البيوت معاهد تدرس فيها لغات حية جديدة، فجميع الأسر تعرف الإنجليزية والهندية والتاميلية، فهذا الاختلاط أفاد الجميع، وعلم الجميع بالممارسة المستمرة كيفية اكتساب لغة جديدة، فهذه الجحافل من الخادمات طفقن ينهمرن على البيوت، ويقلبن الأمور على أعقابها، الواحدة منهن تغير أنماط المعيشة في البيت الواحد، فبعدما كانت الزوجة هي الكل في الكل، وهي المسيطرة على أنحاء البيت، والكل محتاج لها، تغير الحال، فالخادمة هي ربة البيت المجهول عن الأعين والجلية في الواقع المعاش، فهي تطبخ وتكنس

وتربي، والأجيال الصاعدة تتخرج من مدرستها، لتكون اللغة العربية هي الضحية، والتقاليد والأعراف الحميدة هي الضحية والأبناء هم الضحية، وحيال هذه المصيبة، نرى الأسرة في شغل شاغل فرب الأسرة في فورة حياته العملية لا يعبأ بشيء اللهم إلا سداد راتب الخادمة حتى لا تغضب منه، وإلا تحول البيت بسبب غضبها إلى مكان مهجور في حالة طلبها العودة إلى بلادها.

وعلى الطرف الآخر تقف الأم/ الزوجة، فهي لا تعي شيئا إلا الاعتماد الكلي على الخادمة، وحتى رضاعة ابنها تقوم هي بها، والأدهى أنها تنام معه وتظل مرافقة له بالساعات الطويلة، وهي مشغولة بالتسوق الممل أو الجلوس أمام المرآة لتبحث عن الأخطاء السبعة في محياها حتى تزيلها، أو قراءة الأبراج وكتالوجات الموديلات أو الركض وراء صيحات الريجيم المتلاحقة، فالكسل يلازمها من الصباح إلى المساء، الأمر الذي يصيبها بالترهل والسمنة والخمول فتلجأ الى الريجيم لكي يبقى قدها وقامها مياسا كغصن البان، أية فلسفة هذه؟ فالخادمة تدخل رثة مسكينة، وتخرج من البيت بعد سلبه لشيء مهم، سيدة أرستقراطية فقد تظهر ومعها الزوج أو الابن، ألم أقل سابقا إن التغيير يظهر عندنا كثيرا؟ فبعد مهنة الخادمة تغيرها الى زوجة لها حقوق دامغة، يجب أن تحترم وتفرض على الجميع بلا تفرقة.

إذاً، عالم الخادمات عالم متسع رحب، وأسراره خفية وظاهرة في لحظة واحدة، فالحوادث والحكايا والجرائم مترجمة ومسرودة على كثير من الألسن، فخادمة تزوجت كفيلها، وأخرى تزوجت الابن

الصغير، وأخرى أحرقت المتزل، وسلسلة كبيرة من الأسرار والخفايا شرعت تظهر، فالخادمات أصبحن بوتقة واسعة من الأسرار الخاصة جدا عن البيت الذي تخدمن فيه، فهي نقطة ارتكاز تتوسط الجميع، والمتحدثة الرسمية عن العائلة الموقرة، والمظهرة لكل أسرارها إذا ما أرادت، فعند التقاء الخادمات مع بعضهن البعض، تدور الأحاديث والحوارات والمواقف، حتى عن بيوتهن العاملات فيها، فكل واحدة منهن تسرد الطرف والحكايا لتصبح البيوت مسارح مكشوفة الأستار، وبعد هذا الملتقى الحواري تذهب كل خادمة إلى البيت لتتحدث وتنقل الأخبار الى ربة البيت أو الابن أو البنت، بكل تفاصيلها المملة، فلانة تتزوج، وأخرى تحب فلان، وأسرار خاصة تنشر على الجدران والحواري، فخادماتنا الموقرات أصبحت تليفونات وجرائد وفاكسات متنقلة، تعرف من خلالها جميع الأخبار والأنباء وأمام هذا الطوفان الهادر وجب على أصحاب البيوت أن يجاملوا الخادمات بزيادة الراتب ومع حوافز خاصة وبدل السفر وما شابه، وإلا انبثق التمرد بينهن، وقمن بنشر كل أسرار وخبايا البيوت، ألم أقل مسبقا أن التغيير يطال الكل حتى عالم الخدم والخادمات، فبعد المسكنة والصنعة الزائفة، وصلنا إلى مرحلة لوي الأذرع، والتهديد والوسيلة هي الأسرار الرابضة في ذاكرة الخدم والخادمات وهي كالقنابل الموقوتة، والله يستر.

---

* جريدة البيان ، ٢٤- ٥ - ١٩٩٨

وقفة مع عقدة الخواجة(*)

من عجائب الأمور وغرائبها أن هناك أناساً غريبي الأطوار والأمزجة يختلقون طرقاً حياتية جديدة مخالفة كل الاختلاف عن واقعهم الذي يعيشون فيه.

فنرى الواحد منهم يسلك طريقاً مستحدثة، سائرا من خلالها لكي يحقق الارتقاء الإنساني المزعوم الذي يريد أن يصله بكل الوسائل، حتى ولو جعل نفسه نسخة آدمية تتقلب على شتى الصور، فتارة يتحدث لغة أجنبية أو يحاول تعلمها بطرق مختلفة ليقال إنه متحضر ومثقف، وتارة أخرى يحاول نسج تصرف من منظوره الخاص وغير مألوف في مجتمعه، لذا كان من اليسير أن نلقي الضوء الخافت على الأولى، والتي تشاهد بكثرة في مجتمعنا الصغير.

فللأسف هناك أناس يتحدثون لغات عدة، ولكنهم عاجزون عن التعبير عن لغتهم الأم، كما يجب أو بصورة مثلى، والأدهى من ذلك عندما تكلم أحدهم المتثاقف فإنه أثناء الحوار يستنجد بكلمات أو مصطلحات أجنبية حتى يقال إنه مثقف من الدرجة الراقية أو سليل العراقة والبرجوازية المتحضرة، فما زالت عقدة الخواجة موجودة حية والكثيرون يعشقون نظمها وفلسفتها، وفي سبيلها يحاولون النيل ولو بقبس ضئيل منها، فأحيانا يتشبهون بالغرب، لغت، ملبسه، تصرفه، موقف، حتى تعليمه، ويعقدون العزم الراسخ على أن يكون أبناؤهم نبلاء كالغربيين، عارفين لغات عدة، وحافظين أتكيتا لغويا متفرنجا،

وأما لغتهم العربية فهي مغبرة قابعة على رف بعيد لا يقربه أحد، لغة العدالة الإنسانية تهجر منبوذة ولغات أخرى تحيا وهي أقل معيارا وفصاحة وقسوة منها، مهزلة هذا الزمان لا تنتهي بل تتشرذم إلى شظايا عديدة لا طائل منها سوى التعب الفكري والنفسي.

جماعة إنسانية تتشبه بالغربيين كل التشبيه تمويها، وآخرون يمجدون حياة الغرب ولغته ولأجلها يرسلون أبنائهم الى مدارس أجنبية لتعليمهم لغات عدة.

منطق فريد وتصرف غريب، ولكن ألم يفكر هؤلاء المتمدنون أن التطور والحضارة أو الفعل الحضاري لا يتأتى هكذا جزافا كتقليد لغوي فقط؟ أو موضة لغوية موسوعية، بل يتأتّ أولاً بخلق قاعدة لغوية وفكرية واجتماعية راسخة تعضد الحال، ومن ثم ينطلق الإنسان أو الناشيء إلى عوالم مجتمعية أخرى يحقق من خلالها مكاسب ومحامد كثيرة تضيف له شيئا في حياته العلمية والعملية؟ أما أن أتحدث لغة أجنبية صرفة، وأن أنقل أبنائي إلى مدارس ومعاهد لغوية معرضا إياهم إلى جرف لغوي للغتهم الأم ودخولهم في متاهات وتخبطات تمس دينهم الحميد من خلال تعلمهم، لمبادىء دينية أخرى أو على أقل تقدير إشباعهم بمصطلحات دينية تتنافى مع تعاليم دينهم الحنيف، وبعد هذه كله، متى كانت عقدة الخواجة هي القبلة المبتغاة عندنا؟ ولكن للأسف أضحى الكثيرون يعشقونها منذ القدم عشقا خالصا لا فكاك لهم عنها، وعلى هذا الأساس المترسخ والعرق الحضاري المتجذر، تظهر فعال مستهجنة وتصرفات كريهة، سببها الرئيسي عقدة الخواجة،

تلك التي جعلت كشعار لامع يتقمص وهجه المنير الكثيرون، وهذا جانب واحد لوجوه متقلبة وكثيرة الفروع والجذور، من موضة قديمة مازالت أصولها تتسرطن، والطلاب «طلاب الحضارة» يتساقطون في بحورها، فهذه الموضة رنانة الصيت ولها عشاق عديدون يعشقون مصطلحا فريدا ألا وهو (عقدة الخواجة).

* جريدة البيان ، ١٧- ١٢ - ١٩٩٧

صناعة الجهل(*)

تتسابق الأمم والمجتمعات والمؤسسات، على امتلاك مقدرات وخيارات استراتيجية لها كلمة الفصل والسبق في صناعة الوقائع والأحداث والمواقف، أو بالأحرى إدارة المواقف والأحداث وفق منهج مخطَّط له مسبقاً.

لذا، فهي تسعى إلى امتلاك ناصية المعرفة في عالم رقمي متجدد، يقوم على ركيزة اقتصاد المعرفة، وإن كنا نرى أنه عالم قائم على اقتصاد الابتكار، لأن الابتكار الحقيقي يريد تحقيق كل جديد، سواءً في الخدمة أو المنتج أو النُظم أو الآليات.

جميع الدول أو المؤسسات اليوم، تريد أن تمتلك المعرفة ومصادر المعلومة، فالمعرفة قوّةٌ ومكانةٌ وجدارةٌ، وهي سلاح فعال يضاهي أفتك الأسلحة وأقواها، لهذا، قامت بعض الجهات العالمية بتأسيس مفاهيم جديدة تتعلق بالمعرفة مثل: إدارة الفهم، والتي تُعّرف بأنها نشر لمعلومات أو حذف لمعلومات لأجل التأثير في تفكير الجمهور.

والحصول على نتائج يستفيد منها أصحاب المصالح، الأمر الذي يجعلها تضاد وتُعاكس فكر معرفي آخر، يُسمى «علم الجهل»، وهو العلم الذي يدرس صناعة ونشر الجهل بطرق عِلْميَّة رصينة.

تاريخياً، بدأ علم الجهل في التسعينيات، بعدما لاحظ أحد الباحثين في دعايات شركات التبغ، أنها تهدف إلى تجهيل الناس حول مخاطر التدخين، ففي وثيقة داخليّة تم نشرها من أرشيف إحدى شركات

التبغ الشهيرة، تبيّن أن أبرز استراتيجية لنشر الجهل، كان عن طريق إثارة الشكوك في البحوث العلمية التي تربط التدخين بالسرطان. حينئذ، انطلق لوبي التبغ في أميركا لرعاية أبحاث علمية مزيّفة، هدفها تحسين صورة التبغ اجتماعياً، ونشر الجهل حول مخاطره، وعند اسْتقراء المصطَلَحيْن «إدارة الفهم وعلم الجهل»، وهذا الأخير هو الذي يثير القارئ، نرى أن هذا الجهل لا يضاد المعرفة فقط، بل يُصْنع صناعة، ولهذا عنونّا المقالة بـ «إدارة الفهم وصناعة الجهل المخطّط»، أي أن الجهل اليوم أصبح مُنتجاً ومماركة تُنْتج، بحيث تقوم بعض الجهات والدول، من خلال صناعة الجهل، بكفاءة وفعالية إلى تجهيل وتضليل الجمهور والرأي العام، أي أنَّ للجهْل صنّاعه، وأهداف ومناهج وآليات، حتى يتغلغل في عقول الجمهور، ليحوّله إلى عالم من عوالم الغيبوبة، ومن أخطر وسائل هذا التضليل، هو الإعلام المضلل، الذي يزيف وعي الناس، ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي مثل: تويتر، وفيسبوك، وانستغرام.والتي حوّلت بعض الحقائق إلى زيف، والزيف إلى حقائق، وأظْهرت بعض القضايا التي غيَّرت وتُغير قناعات الجمهور، بحيث تتحول قضية ما إلى قضية أخرى، ويتحول الحق إلى غير الحق، لأن هذا التضليل بُنِيَ استراتيجياً على حسب أساسيات علم الجهل، والتي تستند على ثلاث قنوات، هي بث الخوف لدى الآخرين، إثارة الشكوك، وصناعة الحيرة.والمُستقرئ للوضع العام، يرى أن هناك شواهد وأمثلة على ما تم ذكره عاليه، في تجسيد مبدأ إثارة الخوف والرعب، أو إثارة الشكوك، ويتم توظيفها غالباً في القطاع

التجاري والاقتصادي لقلب الحقائق لصالح الشركات العملاقة التي تدفع الملايين لتجهيل الجمهور، حتى يكون مُدْمِناً على مُنتجاتها أو خدماتها، حتى ولو كانت مُهْلِكة وقاتلة، حتى ولو وصل مستوى التجهيل، أن ندخن أو نشرب المشروبات الغازية، أو نأكل المأكولات السريعة، رغم خطورتها وآثارها الصحّية المدمّرة، التي نعرفها يقيناً.

وأمام هذا الخِّضَم من المعلومات المتنوعة والمتعددة، يقف الإنسان العادي محتاراً في اتخاذ القرار المناسب، حتى في موضوع صحته، لأن هناك دُولاً ومؤسسات تصنع الجهل له، وهي صناعة قوية ورائجة، وبصراحة، فإنني لا أنحو نحو المبالغة، بل إن كتاباتي تسلط الضوء على واقع خطير، وآخر قادم أخطر، يهدد الإنسان والفرد العادي، الأمر الذي يجعله عاجزاً حتى عن اتخاذ قرار يخصه، لأنه ضاع بين الفهم والمعرفة والوعي من جانب، والجهل من جانب آخر، وهو الذي يقوده أساطين ومؤسسات تضع الملايين لصناعته بجودة عالية، لأن في تجهيل هذا الإنسان المعاصر المستهلك، سوف يحصلون على المليارات من الدولارات، لأن المنتجات التي تُصنع تدر هذه المليارات، رغم أن هذا الإنسان يعلم بخطورة ما يأكل أو يشرب أو يسمع أو يستخدم، لتأتي المرحلة الثانية، حسب اعتقادنا، مرحلة المرض، ليزيد الجهل الموجود جهلاً مركباً، لأنه يبحث عن علاج لمرضه الجسدي والنفسي الذي فيه بعض صناعة الجهل من أجل اقتناص الشفاء والعلاج، وهذا بيت القصيد.

---

* البيان ، ٣١- ١٢ - ٢٠١٦

التسامح قيمة عليا في دولة الإمارات(*)

القيم السلوكيّة تأتي واضحة وجليّة عندما ترى تُشاهَد وتُلمس سلوكاً بشرياً في التعاملات والممارسات بين البشر من أول نزول الضيف الوافد أو الزائر في منفذ جوي أو منفذ بري أو منفذ بحري؛ لأنّ الموظفين في أيّ دولة ما عندما يتعاملون بأسلوبٍ راقٍ مع الآخر أياً كانت جنسيته وأصله وفصله ولونه ودينه ومذهبه دون تفرقة أو تمييز يُعطون انطباعاً جميلاً في نفس هذا القادم، ويحدّث بهذا الأسلوب مع الآخرين؛ لأنّ القيم الإنسانيّة مثل التسامح دوماً نبيلة، معشوقة لدى الجميع.بالفعل «قيمة التسامح» تعلو على ما عداها من قيم في مجتمع الإمارات المركب إلى حد بعيد، الذي يحوي جنسيات تنتمي إلى كل دول العالم تقريباً، ومع هذا يمر كل شيء على ما يرام، قياساً بما يحدث في مجتمعات أخرى، تركيبتها السكانية أقل تعقيداً، ومع هذا تعاني من التعصب الشديد، الذي يؤدي إلى «الإكراه الاجتماعي» و«الاحتقان المزمن» ويقود إلى جرائم وفوضى في بعض الأحيان، ووقوف دائم على حواف الفتن، أو حتى الانزلاق إليها، والتردي فيها.الإنسان دوماً يُريد أن يُعامَل برُقي وإحسان وطيبة ولا يفرّق بينه وبين الآخر لأنه إنسان قبل كل شيء، ومكرّم من فوق سبع سموات؛ فدولةٌ عربية على ضِفاف الخليج العربي تُسمى في التّاريخ والجغرافيا والحضارة دولة الإمارات العربية المتحدة، تُنعت دوماً بهذه الصفة الموسومة بالدولة المتسامحة وأهلها المتسامحين.وهذا

ليس كلاماً مُرسلاً بل تُدلّل عليه وتؤكّده الحقائق الرقمية الرسمية؛ حيث يعيش على أرض دولة الإمارات العربية المتحدة أكثر من (٢٠٠) جنسيّة بسلام ووئام وراحة وسعادة وتعيش بيننا من سنين طويلة وتمارس أعمالها وحُرّياتها ومعتقداتها بسلام، وأغلب المواطنين عاشوا طفولتهم مع هؤلاء كأخوة وأصدقاء، وحتى إن بعضهم يتحدثون اللهجة الإماراتية بطلاقة.

إن مظاهر التسامح في الإمارات منبعها النزوع إلى التدين الوسطي، وتقاليد القبيلة وقيمها، وإرث القائد المؤسس لدولة الإمارات، زايد الخير، طيب الله ثراه، وبعض «القوانين» المطبقة، لاسيما التي تم استحداثها أخيراً مثل قانون مكافحة الكراهية والتمييز، إلى جانب «سمات مجتمعات الوفرة».

في تقرير حديث أجرته «إكسبرس موني»، إحدى أكثر شركات تحويل الأموال موثوقيّة في العالم، استطلاعاً خاصّاً رصدت من خلاله آراء ٣١١ من الوافدين إلى دولة الإمارات العربية المتحدة من مختلف البلدان والثقافات، حيث أشار ٨٦٪ منهم أنهم يعتبرون الإمارات وطنهم، خصوصاً وأنها توفّر لهم الأمن والأمان والاستقرار (البيان - العدد ١٣٣١٦)، وهذا مردّه وسببه يعود إلى التسامح الذي تطبقه دولة الإمارات العربية المتحدة عملياً.

وتجسد هذا فعلياً في إصدار صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي،رعاه الله، لوثيقة التسامح التي تتضمن قيماً إنسانيّة عُليا تقوم

على احترام الآخر وتقدير واحترام الاختلاف معه؛ لأن الأمم لن تتقدم إلا بهذا التسامح الذي يسمو بالإنسان عندما يعامل الآخر.

فالمعتقد الديني مجسّداً بالدين الإسلامي والعادات والأخلاق والتقاليد العربية تُعزّز هذا النهج؛ لأن الانفتاح الذي تعيشه دولة الإمارات العربية المتحدة لا يأتي من فراغ أو مُصادفة، وهذه الإنجازات الحضارية ليست وليدة حظ أو أي شيء آخر، بل جاءت مترسّخة في وجدان وثقافة شعب عربي أصيل يحترم ويُحترم لأنه أولاً احترم نفسه ثم احترمه الآخرون دولاً وشُعوباً وأُمماً.

فالنّعتُ والوصف المُتسامح الذي يُطلق على دولة الإمارات العربية المتحدة ليس وقتيّاً أو لحظيّاً بل دائماً، ويرسم خارطة طريق للأجيال الإماراتية القادمة لتعي أن التسامح فيها سمة و وصفة واستراتيجية عميقة في التاريخ التليد، وهذا بيت القصيد.

* البيان ، ٢٤- ١٢ - ٢٠١٦

وطننا في القلب(*)

تحيا الأمم على أمجاد تتسامى رقياً وعلواً أمام طفرات البشرية والحضارة الإنسانية، لأن صناعة المجد تأتي من صناعة الإنسان الذي يعرف كيف يقدر الوقت ليصنع الإنجاز، والإنجاز يصنع عيداً بل أعياداً للوطن.

يوم وطني استثنائي يمثل ملحمة إماراتية فريدة تسطرها القيادة ويلتف حولها شعب دولة الإمارات العربية المتحدة وكل من يقيم على هذه الأرض الطيبة ليبعثوا جميعاً رسالة صادقة خالصة تملؤها أسمى معاني الوفاء والعرفان لشهداء الوطن الأبرار في الميادين العسكرية والمدنية والإنسانية كافة.

أرض الحضارات والثقافات والإنسان يأتي عليها العام ٤٥ منذ تأسيس دولة واتحاد إماراتي قوي كان الإنسان فيه هو المحور ونقطة الارتكاز.

جاء فكر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله وفكر الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم ليصنعا عيدا أول لدولة الأعياد، دولة الإمارات العربية المتحدة وكان في معيتهما إخوانهما الحكام يدا بيد، صنعوا دولة بل دولا في دولة عريقة لها النور والسؤود والصولجان والحكمة والفخار.

في هذه المناسبة العزيزة على قلب كل مواطن ومقيم بل كل عربي ومسلم التحية واجبة إلى الشعب الأبي وأبنائنا جنود وضباط وقادة

قواتنا المسلحة المرابطين في ميادين الشرف حماية للوطن وإعلاءً لرايته ودفاعاً عن دولته، والتحية إلى جميع أبنائنا وبناتنا العاملين في ساحات العطاء وميادين الواجب كافة.

يأتي اليوم الوطني ٤٥ ليقول لنا كلمة جميلة إن القادة المؤسسين رحلوا جسدا وظلوا معنا روحا عطرة تشارك معنا الإنجازات تلي الإنجازات.

فالإمارات العربية المتحدة هي دولة ذات صيت عال في المحافل الدولية لأنها تحقق لنفسها الريادة والسبق عالميا، فكل إماراتي بل عربي بل أجنبي يرى في دولة الإمارات العربية المتحدة واحة سلام ووئام، يرى فيها كل الإنسانية والرقي والعمران والحضارة فلا كراهية ولا تمييز ولا عنصرية، والشاهد هنا جنسيات وثقافات تعيش بسلام لأن لغة الإنسانية هي السائدة والقانون هو المحك والفيصل والحكم.

فالأمم عندنا ترى فيها العدالة راسخة رسوخ الجبال الشم، وهكذا هي دولة الإمارات العربية المتحدة في يومها الـ ٤٥، دولة سعيدة وأهلها سعداء وهم لا يكتفون بهذه السعادة بل يسعدون الآخرين من الشرق إلى الغرب لأنها يريدون الخير للبشرية جمعاء، لأن دولة الاتحاد جاءت خيرا للجميع ويدا خضراء ممدودة للجميع، بوركت هذه الأعياد وبارك الله في أرض تسعد الجميع، دولة الإمارات العربية المتحدة.

إنه يوم نستعيد فيه أمجاد التاريخ ونستحضر فيه السيرة العطرة لمؤسس الدولة وبانيها الوالد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان

آل نهيان وإخوانه الآباء المؤسسين الذين رفدوا مسيرة هذا الوطن بجهدهم وفكرهم لإقامة دولة اتحادية قوية البنيان ووطنٍ مزدهر يفاخر به أبناؤه وينعمون فيه بالسعادة والأمن العدل والأمان.

الخير فيه وافر يشعره الناس عزة وكرامة ويعيشونه حاضرا زاهيا وغدا مشرقا، كل أبناء الإمارات والمقيمون ينعمون بالكرامة والتقدم في ظل سياسة حكيمة منبثقة من وجدان صادق وقلب ينبض بالعطاء وحب الوطن والتضحية من أجل رخاء الشعب والأمة.

إن احتفال المواطنين والمقيمين تعبير صادق عن اعتزازهم وفخرهم بمسيرة الاتحاد المباركة التي أطلقها المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رحمه الله، ويقودها باقتدار صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة، حفظه الله.

تحية إجلال وإكبار لأهل الفضل والمروءة والمكارم أبناء الإمارات الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

* البيان ، ٥ - ١٢ - ٢٠١٦

يوم الشهيد يوم الفخار(*)

«إن تضحيات شهداء وأبطال دولة الإمارات ستبقى محفورة في ذاكرتنا عنواناً للفخر والعزّة والمنعة، ونماذج مشرّفة في البذل والعطاء، ومنارة تضيء درب المستقبل المزدهر لوطننا، وستبقى دروساً عميقة لإلهام الأجيال القادمة بأسمى معاني التضحية والولاء والانتماء للوطن، والحفاظ على أمنه واستقراره وعزة وكرامة شعبه»صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم

عندما يسقط شهيد في أرض المعركة فإن قلوب أهل الدولة، والأمة كلها تقوم متضرعة بالدعاء لأنه ضحّى بأغلى شيء من أجل وطنه وتراب وطنه وأهله وحكومته، يشرئب يوم ٣٠ نوفمبر سنوياً في دولة الإمارات العربية المتحدة ليقول شيئاً وأشياء، جاء يقول إن شباب ورجال دولة الإمارات العربية المتحدة تركوا الدنيا وزخرفها وزينتها من أجل الشهادة والكرامة والكبرياء والمروءة، ومنذ أول شهيد إماراتي، سالم سهيل بن خميس، سقط دفاعا عن وطنه وعروبته على أرض جزيرة طنب الكبرى في ١٩٧١/١١/٣٠م وقوافل الشهداء الإماراتيين تترى في أكثر من أرض دفاعاً عن المبادئ الإنسانية العليا والكرامة والحق والواجب، فجنود دولة الإمارات العربية المتحدة في أفغانستان والكويت وكوسوفو والصومال واليمن حالياً سطّروا أروع التضحيات إثر التضحيات تجسيداً لمعاني التلاحم بين هؤلاء الجنود والشعب تحديداً وقيادته الرشيدة.فشباب دولة الإمارات

اليوم يصنعون تاريخاً من دمائهم الزكية العطرة تنفيذاً لنداء الواجب والحق والقيادة الرشيدة، جنود دولة الإمارات العربية المتحدة ساروا على نهج حكيم العرب الراحل الكبير الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- لأنهم عياله، ونهلوا من حكمته ورؤيته السديدة الكثير، وأصبحوا سفراء سلام يحملون على عاتقهم قيم النبل والسلام والطمأنينة لكافة البشر.

إن المتفحص لدور القوات الإماراتية في بعض الميادين والمواقع والبلدان يرى أنها تبني الشوارع والمستشفيات والمشافي والمرافق خدمةً لأهل هذه الدولة المنكوبة بويلات الحروب والدمار، والدليل المسميات التي تحملها تلك المشاركات العسكرية التي تحمل الخير والسلام والأمل، مثل «حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١م»، «إعادة الأمل في الصومال عام ١٩٩٢م»، «قوات التحالف العربي في اليمن٢٠١٥م».

وأمام هذه الروح المضحّية العالية في عطائها قدّمت قيادة دولة الإمارات العربية المتحدة أروع المواقف للشهداء والأبرار، وقفت وقفة تحية وإجلال وتقدير لهم، مجسّدة بأمر صاحب السمو الشيخ محمد بن زايد آل نهيان، ولي عهد أبوظبي نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، بإنشاء مكتب في ديوان ولي عهد أبوظبي يعني بشؤون أسر شهداء الوطن ومتابعة شؤونها، وتقديم الدعم لأبنائها كما أمر سموه بإنشاء نصب تذكاري لهم في العاصمة أبوظبي، وعطاءات الحكومة ودعمها لهم لا يتوقف لأنهم رجال وأي رجال، رحلوا عن

هذه الدنيا، وخلّدوا أسماءهم وأسماء أسرهم شموسا كبيرة في تاريخ الأمة والحقيقة الناصعة والفخار الإنساني.إن دماء هؤلاء الشهداء تصنع قلائد تربط الأمة بمعاني القوة والظفر والوحدة والتضامن والنصر، وتُجسّد معاني الفداء والعطاء والانتماء ونصرة المظلوم ورد الحق لأهله، فرحم الله شهداءنا الأبرار لأنهم تركونا جسداً، وظلّت أرواحهم عنواناً كبيراً للعطاء والبذل والحق والفخار لنا جميعاً.

* البيان ، ١- ١٢ - ٢٠١٦

ترجل الفارس «خميس مطر المزينة»(*)

عندما يتكلّم الناس عن شخصٍ ما فاعلم أنّ الحقيقة أكبر من أي تلميع، ممن يعرفون هذا الرجل فاعلم أن الحق والمصداقية والموضوعية والحقيقة قيم كبيرة سامقة وباسقة لا يمكن أن تكذب أو تُداهن أو تُجامل أحداً أبداً.

رحل الفريق خميس مطر المزينة القائد العام لشرطة دبي «أبو محمد» شهيداً في رحاب الله ولآخر ساعة من حياته العامرة بحب الوطن قائداً كبيراً كما كان، ظلّت الأعين والأسْماع والجوارح تدعو له بالرحمة والمغفرة، لأنّه قائد مؤسسة أمنيّة كبيرة، هي القيادة العامة لشرطة دبي يتولى رئاستها منذ سنين عدة صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله.

حظي، رحمه الله، بحب وتقدير كبيرين من جانب العاملين والمتعاملين مع شرطة دبي، ونفذ بحرفية رؤية الإمارة في الانتقال إلى الحكومة الذكية، وقاد فرق العمل في أهم القضايا التي شهدتها الإمارة، ولم يتوقف عن العمل الميداني رغم أعباء منصبه الإدارية.

فقد خدم المزينة وطنه على مدار عقود، تدرج خلالها في العمل الأمني بشرطة دبي، إلى أن صار قائداً عاماً لشرطة دبي في العام ٢٠١٣.

رجال الشرطة المخلصون كثيرون فهم من تولّوا قيادة شرطة دبي مثل عبدالله بالهول، ومعالي الفريق ضاحي خلفان والفريق خميس

مطر المزينة الذي رحل كبيراً، وترك موقعه كبيراً وخلفه إخوان وقادة وأبناء يعرفون قيمته قائداً لا يهتم إلاّ بالعمل فقط لا يُجامل في عمله، ترك الدنيا لأهل الدنيا، وكان على صدره نياشين وأوسمة وشارات تُبرز هذه الإنجازات على مستوى شرطة دبي ووزارة الداخلية وحكومة دبي ودولة الإمارات والدول العربية والعالم ممثلاً بالشرطة الدولية (الإنتربول)، ترك أبو محمد هذه الدنيا مع إرث من الإنجازات المسطّرة في نفوس الموظفين والعمل الإداري والعمل الأمني والعمل الجنائي.

وترك إنجازاته تقول أشياء وأشياء، ومنها أنّ القادة الكبار لا يموتون أبداً، لأنّ الناس تترحم على إنجازاتهم الكبيرة، ترك شرطة دبي، ودبي الحالمة التي كان يسهر على أمنها وراحتها ليتوسّد التراب لأنّها مشيئة الله سبحانه وتعالى، ومن يقرأ صفحات الرجل في عمله يعرف عنه الكثير والكثير.

ولكن خلال عملي في شرطة دبي التي ناهزت الـ٢٠ سنة سمعنا عنه وشاهدنا بعض المواقف التي جمعتنا معه، حيث كان يتميز بشخصية قوية حازمة وهيبة يفرضها على من حوله وله قرارات تنبع من فكره ويُحسب لوجوده ألف حساب.

رحمه الله تعالى كان لا يعرف التقاعس أو التأخرّ، وله ذاكرة قويّة يستطيع أنْ يمحّص بها الحقائق ومازالت سنوات عمله في التحريات والمباحث الجنائية مؤثّرة عليه أيّما تأثير وكان، رحمه الله، موسوعة من المعارف وله ذاكرة متّقدة.أتذكّر أمام جلسات التقييم لبرنامج

دبي للأداء الحكومي المتميز يجتمع بالساعات أمام المقيّمين، ويُجاوب على أسئلتهم ولو تتطلب لساعات طويلة وكانت جولات التفتيش السنوية تُحفّز الإدارات العامة ومراكز الشرطة على الاستعداد الأمثل لها لأنّه عميق في طرحه وأسئلته ونقاط التحسين التي يسأل عنها.

ترك أبو محمد مكاناً كبيراً في القيادة ونفوس الجميع لأنّه قائد فذ، علّم وتعلّم من القيادات التي عاصرها سواءً كان معالي الفريق ضاحي خلفان، أو مساعدي القائد العام الحاليين، ونخصّ بالذكر اللواء الدكتور عبدالقدوس عبدالرزاق العبيدلي مساعد القائد العام لشؤون الجودة والتميز الذي يُعتبر مدرسة شُرطيّة في الجودة والتميز، رحل القائد العام ليترك كل شيء للأجيال الشابة والواعدة لتكمل مسيرة الإبداع والابتكار والريادة الشرطية، رحمك الله أيها الفارس النبيل.

* البيان ، ٢٨- ١١ - ٢٠١٦